وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة إبن خلدون – تيارت –
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم تاريخ

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر الطور الثاني ل.م.د

فيي علم تاريخ الحضارات القديمة موسومة بـــ

العنوان

التحولات السياسية والاقتصادية في شمال إفريقيا الفترة الوندالية (429م – 534م)

إعداد الطلبة

- ✓ سلاوي وفاء
- ✓ بلحول بن عودة
- ✓ بن هبريك أمبارك

تحت إشراف:

د. قفاف بشير

لجنة المناقشة

الأستاذ (ة)	الرتبة	الصفة
حجاج نجاة	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
د. قفاف بشير	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
محوز رشيد	أستاذ التعليم العالي	مناقشا

الموسم الجامعي: 2024م– 2025م.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قبل كل أحد وبعد كل أحد، الشكر موصول للواحد الأحد، الذي منحنا القوة والعزيمة، وأعاننا على إنجاز هذا العمل.

نحمد الله تعالى حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، ونشكره على ما أولانا من نعم، فقد قال في محكم كتابه:

"لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ" [إبراهيم: 7].

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة العقل، فأنار لنا به سُبل المعرفة، ووفقنا بفضله وكرمه لإتمام هذا العمل المتواضع على هذه الصورة.

وإن من الوفاء والعرفان بالجميل أن نتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من أسهم، ولو بكلمة أو رأي أو دعم، في إنجاز هذا البحث.

ويسرّنا أن نخص بالشكر والعرفان الأستاذ الفاضل "داود عمر"، على إشرافه الكريم ومتابعته المتواصلة، وما قدمه لنا من توجيهات سديدة ونصائح قيّمة كان لها الأثر الكبير في إخراج هذا العمل على النحو المرجو.

كما نتوجه بالشكر والتقدير إلى جميع أساتذة الكلية، وخاصة أساتذة قسم علم الاجتماع، لما قدموه لنا من علم ومعرفة ودعم طوال مسيرتنا الأكاديمية.

كما نتوجه بالشكر والتقدير إلى جميع أساتذة الكلية، وخاصة أساتذة قسم علم الاجتماع، لما قدموه لنا من علم ومعرفة ودعم طوال مسيرتنا الأكاديمية.

إهداء:

ما سلكنا البدايات إلا بتيسيره وما بلغنا النهايات إلا بتوفيقه وما حققنا الغايات إلا بفضله فالحمد لله الذي وفقنا لتثمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية.

اهدي ثمرة جهدي إلى

نفسي التي صبرت، وقاومت ومضت رغم كل شيء، إلى تلك أهلكها التعب لكنها لم تهزم.

إلى الذي ختم اسمي به إلى كل من كان سندا رغم الصعاب إلى من وقف معنا حتى شاب إلى حياتي أبي.

إلى شمعة أحرقت نفسها لتنير لنا دروبنا ولازالت إلى التي أوصى بها ثلاث إلى قطعة من قلبي بل كله أمي.

إلى عائلتي كلها كبيرها وصغيرها إلى كل من أحبنا بصدق وكل من ساندنا كل من كان لنا عونا وأمان.

إلى صديقاتي كلهن كل واحدة باسمها رفيقات دربي شحنة طاقتي.

إلى فوزية رحمة الله عليها اهدي لها كل نجاح فقد كان كل نجاح قبل رحيلها من صدق دعائها لي.

وفاء

إهداء:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى من أضاءوا دربي بنور عطائهم، وكانوا السند والداعم في كل مراحل حياتي:

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أغلى ما أملك، إلى من غرسا في قلبي حب الخير والاجتهاد، وعلّماني الصبر والثبات، إلى والديّ العزيزين، رمز العطاء والبذل والتضحية.

لكما مني كل الحب والتقدير والامتنان، وكل حرف في هذا العمل هو ثمرة من ثمار رعايتكما ودعائكما المتواصل، فجزاكما الله عني خير الجزاء، وبارك في عمركما، وأدامكما تاجًا على رأسي.

وإلى كل من آمن بي حين شككت في نفسي، ومدّ لي يده بكلمة صادقة، أو دعوة في ظهر الغيب، أو ابتسامة صادقة تبث الأمل في قلبي، لكم مني أصدق عبارات الشكر والعرفان، فلكم في هذا الإنجاز نصيب لا يُنسى.

وإلى رفاق الدرب والمعلّمين الأفاضل، وكل من ترك في مسيرتي أثرًا طيبًا، ولو كان عابرًا، أُهديكم جميعًا هذا الجهد، تقديرًا لجميل دعمكم وسخاء عطائكم

بن عودة

إهداء:

إلى من زرعوا في نفسي حب العلم، وغرسوا في قلبي قيمة العمل، وأشعلوا في روحي شرارة الإصرار على النجاح...

من كانا مصدر قوتي وإلهامي، ونبراس طريقي في كل خطوة إلى...

أمي الحبيبة وأبي العزيز، اللذين دعماني دون شروط، وآمنا بقدراتي منذ البدايات، وكانا إلى لي الحضن الدافئ والمأوى الآمن.

لم تبخلا عليّ بحبكما ولا بعطائكما، فكل إنجاز أحقّ الناس به أنتما، وكل لحظة فرح عشتها كانت ببركتكما ودعائكما ورضاكما.

إخوتي وأخواتي، كلٌّ باسمه ومكانته في قلبي، الذين كانوا لي العون والسند، وفرحتي وإلى في كل محطة من محطات الحياة،

شكراً لقلوبكم النقية، ودعمكم المستمر، ولوقوفكم بجانبي في صمت أحياناً، وفي حماسة أحياناً أخرى، فلكم في هذا الإنجاز نبض من روحي.

أمبارك

فهرس المحتويات

شكر وعرفان .....

إهداء .....

مقدمة ..... أ

المدخل: وصول الوندال إلى شمال إفريقيا

تمهيد:..... 5

1. أوضاع شمال إفريقيا قبيل الزحف الوندالي..... 6

أولا- الأوضاع الاقتصادية:..... 6

ثانيا: الأوضاع الاجتماعية..... 9

ثالثا: الأوضاع السياسية والعسكرية..... 10

رابعا: الأوضاع الدينية..... 11

2. أصل الوندال وخلفيتهم الدينية..... 12

أولا: أصل الوندال..... 12

ثانيا: الخلفية الدينية للوندالبين..... 15

3. أوضاع الوندال على المستوى الأوروبي..... 21

4. مراحل وخطوات الاحتلال الوندالي لشمال إفريقيا 24

خلاصة الفصل..... 28

الفصل الأول: الوضع السياسي في شمال إفريقيا أثناء الاحتلال الوندالي (429م- 534م)

تمهيد..... 30

1.الاحتلال السياسي الوندالي في شمال إفريقيا 31

أولا: السياق التاريخي للغزو الوندالي..... 31

ثانيا: ملامح الحكم السياسي الوندالي 32
ثالث: التوترات الدينية والإنقسامات السياسية..... 34
رابعا: نهاية الاحتلال الوندالي 35
2. سقوط مملكة الوندال وأثر الغزو البيزنطي على شمال إفريقيا..... 36
3. تأثير الغزو البيزنطي على سكان شمال إفريقيا..... 37
الخريطة السياسية المحلية خلال الاحتلال الوندالي لشمال إفريقيا (429م- 534م) 39
أولا: مملكة الوندال- القوة السياسية المركزية 39
ثانيا: المدن الرومانية المستقلة أو شبه المستقلة 40
ثالث: القبائل الأمازيغية – قوى محلية مستقلة ومقاومة..... 42
رابعا: النفوذ البيزنطي غير المباشر والتحضير للتدخل..... 44
4. العلاقة بين السكان المحليين والإحتلال الوندالي 45
الفصل الثاني: التحولات الاقتصادية في شمال إفريقيا أثناء فترة الوندال
1. التحولات الاقتصادية في شمال إفريقيا أثناء فترة الوندال 50
أولا: ضرب النقود الوندالية 51
ثانيا: الزراعة 57
ثالث: النشاط الحرفي..... 64
رابعا: التجارة 66
2. التجارة الخارجية..... 70
خلاصة الفصل 72
الخاتمة 74
قائمة المصادر والمراجع..... 76
الملاحق..... 81

مقدمة

مقدمة

شهدت منطقة شمال إفريقيا، خلال الفترة الممتدة من أواخر القرن الرابع الميلادي إلى منتصف القرن السادس، تحوّلات جذرية في بنيتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، نتيجة الانهيارات الكبرى التي مست الإمبراطورية الرومانية الغربية وتفكك نظامها الإداري والعسكري وتزايد الضغوط الخارجية من الشعوب "البربرية" التي بدأت في عبور حدود الإمبراطورية بحثًا عن الاستقرار والمكاسب. ومن بين هذه الشعوب، برز الوندال كقوة عسكرية وتنظيمية وازنة تمكنت من التوسع بسرعة كبيرة، وكان استقرارهم في شمال إفريقيا من أهم المحطات التاريخية التي أعادت رسم ملامح المنطقة على مستويات متعددة.

لقد جاء الوندال، وهم من الشعوب الجرمانية، إلى شمال إفريقيا بقيادة ملكهم القوي والحازم "غايسريك" سنة 429م، بعد أن اجتاحوا أجزاء من إسبانيا ووجدوا في الأراضي الإفريقية مجالاً خصبًا للتوسع، خاصة في ظل تفكك النظام الروماني وغياب سلطة مركزية قادرة على الدفاع عن مصالح الإمبراطورية في هذه الربوع. وتمكن الوندال بعد عشر سنوات فقط من دخولهم من الاستيلاء على مدينة قرطاج سنة 439م، والتي لم تكن فقط من أعظم مدن إفريقيا الرومانية، بل كانت مركزًا حضاريًا وتجاريًا واستراتيجيًا بالغ الأهمية، فتحولت إلى عاصمة لمملكتهم الجديدة وأصبحت قاعدة لعملياتهم العسكرية والسياسية في المنطقة.

غير أن هذه السيطرة الوندالية لم تكن كاملة ولا مستقرة، فقد اقتصرت بشكل كبير على الشريط الساحلي والمناطق ذات الكثافة الرومانية العالية، في حين ظلت المناطق الداخلية، خاصة الجبلية والصحراوية منها، تحت سيطرة القبائل الأمازيغية التي كانت تتمتع باستقلال نسبي وترفض الانضواء تحت سلطة الوندال. وقد نشأت في هذه المناطق كيانات محلية ذات طابع ذاتي الحكم، تمثل تحديًا دائمًا للمملكة الوندالية وخلقت واقعًا سياسيًا مجزأ يفتقر إلى التماسك والوحدة، وهو ما كان له الأثر البالغ على استقرار السلطة الوندالية واستمراريتها.

تنطلق هذه الدراسة من إشكالية عامة تتمثل في :**إلى أي مدى ساهم الاحتلال الوندالي في إحداث تحولات سياسية واقتصادية عميقة في شمال إفريقيا، وما طبيعة العلاقة التي نشأت بين الحكم الوندالي والسكان المحليين في ظل هذه التحولات؟**

تتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية، منها:

- ما خصائص النظام السياسي الذي أسسه الوندال في شمال إفريقيا؟
- وما أثر سياستهم الاقتصادية على أوضاع الأهالي، وعلى بنية الاقتصاد المحلي في الحواضر والأرياف؟

تكتسي هذه الدراسة أهمية خاصة لكونها تسلط الضوء على فترة تاريخية بالغة التعقيد في تاريخ المنطقة، وهي الفترة التي مهّدت لتحولات كبرى سبقت الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، وأسهمت في صياغة ملامح التوازنات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي عرفتها المنطقة لاحقًا. كما تسعى الدراسة إلى تقديم تحليل علمي يستند إلى المصادر التاريخية المعتبرة، لرصد معالم هذه المرحلة وتفكيك تفاعلاتها الكبرى.

وقد اعتمدنا في إنجاز هذا العمل على مجموعة من المصادر والمراجع التاريخية ذات القيمة العلمية الموثوقة، أبرزها:

- ابن خلدون، *تاريخ العبر*، مج 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1966.
- التازي، *الإلمام بخلاصة تاريخ أرض المغارب*، دار الرباط، الرباط، 2006.
- الزاوي، عبد السلام، *تاريخ شمال إفريقيا في العصور القديمة والوسطى*، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005.
- سيد أحمد علي الناصري، *تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري*، ط 3، القاهرة، 1998.
- شارل أندري جوليان، *تاريخ إفريقيا الشمالية*، ترجمة محمد غزالي والبشير بن سلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2011.

يتناول هذا العمل بالدراسة والتحليل مرحلة بالغة الأهمية في تاريخ شمال إفريقيا، وهي الفترة الوندالية الممتدة من سنة 429م إلى سنة 534م، من خلال التركيز على التحولات السياسية والاقتصادية التي عرفتها المنطقة خلال هذا العهد. ويبدأ البحث **بمدخل** يمهد لوصول الوندال إلى شمال إفريقيا، مبرزًا السياق التاريخي العام الذي سبق احتلالهم للمنطقة.

ثم يُخصص **الفصل الأول** لدراسة الوضع السياسي في شمال إفريقيا أثناء الاحتلال الوندالي، حيث يتم التطرق إلى طبيعة الاحتلال السياسي الذي فرضه الوندال، وتحليل الخريطة السياسية المحلية خلال هذه المرحلة، مع التركيز على العلاقة بين السكان المحليين – من أمازيغ ورومان والحكم الوندالي. أما **الفصل الثاني**، فيتناول التحولات الاقتصادية خلال العهد الوندالي، من خلال دراسة السياسة الاقتصادية التي انتهجها الوندال، وخاصة ما يتعلق بالسيطرة على الأراضي الزراعية، إضافة إلى استعراض وضعية الأهالي الاقتصادية، ونشاطاتهم في مجال الإنتاج الزراعي، فضلاً عن تطور الحرف والتجارة في ظل المتغيرات الأمنية والسياسية التي عرفتها المنطقة. وتُختتم الدراسة **بخاتمة** تتضمن أهم ما توصل إليه البحث من نتائج واستنتاجات.

فصل تمهيدي

وصول الوندال إلى شمال إفريقيا

تمهيد:

عرفت منطقة شمال إفريقيا خلال العصور القديمة المتأخرة تحوّلات عميقة، خاصة في ظل ضـــعف الإمبراطورية الرومانية الغربية وتزايد التهديدات الخارجية. وكان الزحف الوندالي نحو هذه المنطقة واحداً من أبرز الأحداث التي شكّلت منعطفاً تاريخياً هاماً في مصيرها السياسي والديني والاقتصـادي. فقد جاءت هذه الحركة ضـمن موجة من الهجرات البربرية التي اجتاحت العالم الروماني، لتجد في شمال إفريقيا أرضاً خصبة لطموحاتها التوسعية، خاصة مع ما كانت تعانيه المنطقة من اضطرابات داخلية وتراجع في السلطة المركزية. يتناول هذا الفصل الظروف التي سـبقت دخول الوندال، وأصـولهم العرقية والدينية، وأهدافهم من السـيطرة على المنطقة، ثم يسرد بتفصيل مراحل احتلالهم لشمال إفريقيا.

1. أوضاع شمال إفريقيا قبيل الزحف الوندالي

أولا- الأوضاع الاقتصادية:

استنادا إلى المراجع المهتمة باقتصاديات إفريقيا الرومانية بالأخص إنتاج فلاحي المتنوع نجدها تصف منطقة شمال إفريقيا على أنها تتمتع ب:

- جودة الأراضي في شمال إفريقيا وخصوبتها ونشاط الأهالي وحيويتهم.
- تشجيع الأباطرة الرومان لأهل إفريقيا إفريقيا على زراعة القمح وغراسة الزيتون والكروم، وذلك بشتى الطرق بحيث أوجد قانون ملكية الأرض المستصلحة والإعفاء من بعض الضرائب.
- تكفل الجيش بتوسيع الشبكة المائية لضمان تزويد المدن والمزارع، والعمل علة حفر البار وصيانة الينابيع وإقامة السدود والخزانات الصالحة للشرب والكافية للسقي وشق قنوات السواقي وتشييد السقايات.[1]

غير أنه مع أواخر ق 2 م عرفت المنطقة تذبذب اقتصادي نظرا للنظام الإقطاعي المعتمد مما أثر سلبا على القطاعات الاقتصادية الأخرى:

أ. القطاع الزراعي:

نجد أن ن السياسة الزراعية الرومانية في بدايتها نلاحظ أنها تعتمد على زراعة القمح بالدرجة الأولى في كافة أراضي بلاد المغرب القديم لتتحول المجهودات ابتداء من القرن الثاني الميلادي إلى زراعة الأشجار التي يتصدرها الزيتون والكروم والتين كما تنامت كذلك تربية الخيول والأبقار والخنازير، كما بدأ أيضا الجمل يأخذ مكانه في الاقتصاد الريفي منذ أواخر ق . م وتجدر الإشارة أن بلاد المغرب لعبت دورا اقتصاديا مهما لإنقاذ الإمبراطورية الرومانية من

[1] محمد اللبار، الحوافز الاقتصادية لدخول الوندال إلى أرض المغارب سنة 429 م، سلسلة العلوم الإنسانية ، ع 10، ط 2019، ص 117.

المأزق الاقتصادي الذي عجل بالتكثيف لنشاط الزراعي وتنشيط التجارة والصناعة،[1] لذا نجد من اهم مبررات الاحتلال استهداف أرض منطقة شمال إفريقيا، حيث بالعودة إلى الدراسات نجد ان إطاحة بقرطاجة مع سنة 146 ق. م[2] أدى إلى المنافسة على الأرض الزراعية الإفريقية وقد كان الهدف من ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى الرغبة في استثمار أرباب الرساميل الروماني (Agrimensores)[3] للمزارع الكبرى الذين قدروا بـــ 12 ألف شخص كما عمدت إلى نزع الأراضي وترحيل القبائل التي تملك الأراضي الخصبة طاردين أهاليها نحو الأراضي السهبية الفقيرة والجنوب، وقد تحول أفراد من القبائل إلى يد عاملة في الضيعات الكبرى، أو بالأحرى كعبيد[4]،

ب. القطاع الصناعي:

اشتهرت المنطقة بصناعة النسيج بفضل استخدام الصباغة الأرجوانية ما الفخار، فقد كان إنتاجه وفير بحث بلغ درجة التصدير[5] كما عرفت الصناعة التحويلية في عصر الزيتون الذي انتشرت معاصره في مناطق عديدة في شمال إفريقيا، لدرجة أننا لا نكاد نجد منطقة تخلو منها بقايا معاصر الزيتون[6] كما استخدمت في مختلف المجالات كالتغذية والإضاءة وصناعة

---

[1] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السيادي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، بط، ص 204.

[2] العود محمد الصالح، التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية 429 – 534 م، ماجستير في التاريخ القديم، جامعة منتوري– قسنطينة، ط 2009/ 2010، ص 12.

[3] * لقد كان مساحو الأرض (Agrimensores)،: هم موظفون رومان كلفوا من طرف الدولة لإنجاز عملية نزع الأرض من الأهالي وبحد السيف بالاستعانة بجيش الإمبراطورية الرومانية ثم يقومون بتجزئتها إلى قطع متساوية كي يسهل عليهم توزيعها على المزارعين أو تأجيرها ومن ثم يتسنى للدولة مراقبتها وتحديد نصيبها من المحصول، **أنظر**: محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، الجزائر، ط 1984، ص 55.

[4] Picard (G.), La civilisation de l’Afrique Romaine, Paris, 1959, P. 66

[5] Petit (P.), Histoire générale de l’empire romain, 3 Vol. Ed. Du seuil, Paris, 1978, P. 120

[6] Camps Fabrer (H.), L’olivier et l’huile dans l’Afrique romaine, Ed. IMP. Officiel, Alger, 1953, PP. 25-31

الصابون والتدليك في الحمامات، والملاحظ أن انتشار النشاط الفلاحي ومكانته المرموقة طغى على باقي الأنشطة الحرفية والتجارية الأخرى.[1]

ج. النظام النقدي والضريبي:

لم يكن هناك اهتمام واسع باستخدام المعادن التي استبدلت بالفضة والبرونز مما نلحظ تناقصا في ضرب السكة وظهور فوضى في النظام النقدي، فقد فقدت العملة الرومانية أهميتها في التعامل التجاري مما جعل الدولة تسك الآلاف من قطع النقود ذات القيمة الفضية المنخفضة لتحل محل العملات القديمة بنفس قيمتها الشرائية[2] كما عرفت السلع ارتفاعا باهظا وعجز كبير في دفع الضرائب.[3]

أما فيما يخص الضرائب فقد اخضع الرومان بلاد المغرب منذ سقوط قرطاج سكان الريف والحضر على السواء للدفع الضريبي بداية من شهر مارس وتستمر إلى غاية شهر جويلية، وإذا حدث تجاوز لتلك الفترة فإن الجيش كان يتدخل لمصادرة أملاكهم أو معاقبتهم [4] كانت تجمع من طرف موظفون مسؤولون أمام المجلس البلدي والحاكم العام، وتشير الوثائق إلى أن هؤلاء كانوا يتجاوزون صلاحياتهم فيجبرون الناس أحيانا على أداءات إضافية لصالحهم.

د. القطاع التجاري:

عرفت المنطقة حركة تجارية مهمة في ظل تواجد طرق المواصلات البرية والبحرية وبناء المستودعات والموانئ التي تسهل عملية التصدير كل من النحاس والحديد، والنباتية كالحبوب والأخشاب، وكذا الحيوانات الموجهة للألعاب مثل: الفيلة والأسود والفهود والدببة، إضافة إلى

[1] محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 206.

[2] سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، القاهرة، ط (3) 1998، ص 531.

[3] العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 14.

[4] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 269.

الدواجن الإفريقية،[1] هذه العملية سـهلت من الاسـتغلال والتحكم في المنطقة، فيما اختصـرت الواردات في المواد المصنعة خاصة منها الأواني الفخارية والمصابيح والخمور.[2]

ثانيا. الأوضاع الاجتماعية

اعتمد تعامل الإدارة الرومانية مع السـكان بناء على البنية الاجتماعية أي الروابط القبلية التي تميزت بهرمية السلطة فتعتلي قمتها أسرة ذات عصبية تشكل العائلة المالكة التي يحق لها توارث السلطة وممارسة السيادة على جميع القبائل والإمارات المنضوية تحت نظامها كما أخذت في الحسبان الأعراف والنظم الداخلية، كما عمدت إلى الاستغلال النفوذ السياسي والمعنوي لدى السكان لتكون واسطة بينها وبين الأهالي،[3]

كما تؤكد بعض المصـادر وجود قبائل متاخمة نتيجة النشـاط المعادي للرومان، والتي شـملت كل من البوار والباقواط وكذا قبائل الخماسـي (quinquegentis)[4] فقد فشـلت الإدارة الرومانية في إبرام اتفاقيات معهم أدى إلى انتشار فوضى وصراع اجتماعي ديني[5] وثورات كبرى أبرزها ثورة (فيرموس)[6] صـاحبة ذلك ظهور حركات تحررية نتيجة صـراع بين الكنسـية والدوناتية[7]

---

[1] - Lecoq (A.), Le commence de l'Afrique romaine, T. 12, 1932, PP. 339-343

[2] العود محمد الصالح، المرجع نفسه، ص 15.

[3] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ج 2، ص 339.

[4] * قبائل الحلف الخماسـي: هي اتحاد مجموعة من القبائل المورية تكونت بعد حدوث عدة معارك مع الرومان وقد كان على رأسـها قائد يدعى فراكسـان وهي قبائل لم يتم رومنتها. تقع مضـاربها في المنطقة الجنوبية من النجود، **أنظر**: محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص ص. 247-245.

[5] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص ص 285 . 315.

[6] العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 18

[7] * الدوناتية: هي حركة ثورية اجتماعية أسسها الراهب دوناتوس ظهرت سنة 311 م، وهي حركة دينية كانت في بدايتها عبارة عن انشقاق عن الكنيسة الكاثوليكية وقامت ضد الاحتلال الروماني دولة وكنيسة، ومن أهم نتائجها تجاوز المقاومة العسكرية إلى النضال الديني والاجتماعي. **أنظر**: شارل أندري جوليان،تع: محمد غزالي، البشير بن سلامية، تاريخ إفريقيا الشمالية، دار الغرب، بيروت، ط 2011، ص 290. 306.

ثالثا. الأوضاع السياسية والعسكرية

عرفت منطقة شمال إفريقيا اضطراب مستمر[1] فبرزت ثورة الجيتوليين (الصحراويين) التي اندلعت في بداية القرن الأول الميلادي، ثم ثورة المزالمة (Les Musulames) بقيادة تاكفاريناس[2]، ومساعدة مازيبا في الأوراس التي ناصرتها القبائل الصحراوية، وامتد لهيبها حتى أوزيا (Auzia) سور الغزلان الحالية[3] وعلى الرغم من تعدد الحصون والحاميات العسكرية التي استهدفت القبائل الثائرة إلى أن هذه الثورات استمرت إلى غاية الدخول الوندال عبر مضيق جبل طارق.[4]

ونجد من الثورات ما يلي:

أ. ثورة الريفيين (Les Circoncellions):

نجد أن القديس (**ST Augustain**) أوجد هذه التسمية والتي يقصد بها الجناح العسكري للحركة الدوناتية بعد ان كانت تطلق على عصابات المزارع ومخازن الحبوب الرومانية التي تمارس عملية النهب[5] وقد عمد إلى ضرب رجال الكنيسة الكاثوليكية والأثرياء الرومان ورجال السلطة في الولاية الأفريقية[6] كما نجد المؤرخ **Brisson** وصف فئة الريفين بانهم عبارة عن فئة من

---

[1] محمد الصغير غام، ثورة الريفيين الاوراسيين ضد الاستعمار الروماني، مجلة التراث، ع 13، الجزائر، ط 2005، ص 9.

[2] * **كفاريناس:** هو قائد نوميدي عمل في الفرق الإضافية التابعة للجيش الروماني، لكن نجد إتقانه للفنون الحربية ومعرفته للنوايا الرومانية وإلى ما تريد الوصول إليه في المنطقة المغاربية والأسلوب الذي يتبعه الرومان في معاملتهم مع الأهالي المغاربة، فرمن الجيش الروماني وقاد قبائل المزالمة في ثورة عارمة ضد الاستعمار الروماني وكان سنه آنذاك لا يتجاوز 37 سنة، **أنظر:**

Afrique en légat et Proconsul .M Benabou - le témoignage de Tacite, Ant-Afri., T. 6, 1972, PP. 126-129.

[3] حمد الصغير غانم، بعض من ملامح ثورات التحرير ضد الاستعمار الروماني خلال القرن الأول ميلادي (ثورة تاكفاريناس) حولية المؤرخ الجزائري، ع 1، ط 2003 ص ص 15- 31.

[4] العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 26.

[5] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص ص 300، 303.

[6] محمد الصغير غانم/ ثورة الريفيين الاوراسيين ضد الاستعمار الروماني، المرجع السابق، ص 15.

الشـــباب الرحل الذي يترددون على ضـــياع الأثرياء العمل أما الثوار فقد كانوا يطلقون على انفسهم اسم المقاومين **(Agonistici)** أو المصارعين أو جنود المسيح **(Militéres christens)** [1]، وتجدر الإشـارة إلى انهم ما بين 330 و340 م اندلعا ثورة الريفين في النصـف الأول من ق 4 م استهدفت:

- محاربة الاضطهاد أبناء الريف والعاملين
- ضرب المؤسسات الإنتاجية التي تعد أساس المؤسسات الإدارية والعسكرية المتسببة في شقاء الريفيين.

كما لعبت صـراعات ما بين الكنيسـة الكاثوليكية والأثرياء والسـلطة من جهة. والدوناتيين والثوار الريفيين من جهة ثانية، تفرض التقارب والتحالف بين من يشـــتركون في عدو واحد، وبذلك تميزت الأوضاع بوجود العديد من الثورات المحلية.

ب. أفول نجم الدولة الرومانية:

شـــهدت المرحلة الأخيرة من أفول الإمبراطورية الرومانية، حيث عرف الوضـــع في شـــمال إفريقيا قبيل الغزو الوندالي أوضـــاعا مضـــطربة يغلب عليها التوتر الســـياســـي الذي ميز الإمبراطورية الرومانية، التي آلت إلى السقوط بعد تراجع نفوذها يوما بعد يوم آخر.

رابعا. الأوضاع الدينية

عرفت المنطقة معتقدات الدينية كما تعايشت عدة معتقدات متباينة في صولها وطقوسها فكانت المعبودات كثيرة ومختلفة بين الناس بالإضـــافة إلى الديانة الوثنية الرومانية معتقدات شرقية بونية اعتنقها أفراد الطبقة الاجتماعية الدنيا في المدن والأرياف.[2]

غير لأنه بعد ظهور المســيحية نتيجة للحركات التجارية التي نقلت معها الديانة المســيحية إلى المدن الســـاحلية الكبرى، كقرطاجة التي كانت ملتقى هاما للتجارة والتجار القادمين من

[1] العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 28

[2] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 265.

مختلف أنحاء المدن وخاصـــة من المشـــرق، حيث كان معتنقوا الدين المســـيحي يتكاثرون[1] كما تواجدت معابد اليهود (Synagogues) أين تبلورت حركة التنصـــير وهذا أوجد العداء الشـــديد مع المسحيين.[2] على الرغم من الإقبال الشديد خاصة من طرف أفراد الطبقة الاجتماعية الدنيا، والذين التمســـوا في تعاليم المســـيحية بغيتهم الروحية وطموحهم الاجتماعي، وهذا ما افتقدوه في الديانة الوثنية التي كرست نظام الطبقية.[3]

2. أصل الوندال[4] وخلفيتهم الدينية

أولا. أصل الوندال:

شاع مصطلح الوندال في كثير من اللغات الأوربية الحديثة، لدرجة أنه اشتق منه الاسم الموصوف بالوندالية (vandalisme Le) الذي صار يعني التدمير الوحشي،[5] حيث وبالرجوع إلى أبحاث المهتمين بالشأن الوندالي فقد عرفوا بالسمعة السيئة حتى أن التسمية في حد ذاتها ارتبطت بالتخريب والنهب (الوندالية)، كما ترســـخت لديهم الصـــورة النمطية على أنهم شـــعوب متوحشـــة تتمتع وتســـتلذ بإلحاق الأذى بالغير أي أنها شـــعوب ســـادية ومثال ذلك ما حدث مع الآشوريون أو غيرهم من الأمم عبر الزمن، فهي تشهد أبشع حالات البشر وحشية والخروج عن

---

[1] العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 22.

[2] ابن خلدون، تاريخ العبر، مج 2، دار الكتاب اللبناني، ط 1966، ص 294.

[3] محمد البشير شنيتي، الدوناتية وثورة الريفيين خلال القرن الرابع، مجلة الأصالة، ع 60، ط 1980، ص 26.

[4] * الوندال : اســـم مشـــتق من اســـم قرية ســـويدية تدعى (وندل) Ventel في أوبلاند ، وهو ما جعله يرى في هذه المنطقة موطنا أصليا للوندال، وهذا خلافا للدراسات اللغوية التي تعتبر الوندال أقرب إلى الدانماركيين منهم إلى السويديين، **انظر**: محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربة القديم السياسي والحضاري، منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، وحدة بن بوالعيد، ص 234.

[5] العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 39

قوانين الطبيعة والعدالة، وإنما ما ثبت عن الوندال عدم التسامح أمام كل أشكال المقاومة التي تعترض طريقهم، كما مارسوا عملية الانتقام والعقاب الجماعي من المدن التي قتل فيها رفاقهم.[1]

ويرجع أصل الوندال عند الكثير من المؤرخين إلى ألا صول إلاسكندنافية، ومنهم من يرجعهم إلى الأصل النرويج كانت هجرتهم في القسم الأوروبي من الشمال الموطن الأصلي لهم نحو الجنوب، ثم الغرب الأوربي ثم إلى بلاد المغرب[2]

و تجدر الإشارة إلى انه مع أوائل عصر البرونز – حوالي 1800 ق.م، كانت الشعوب الجرمانية تحتل فقط الجزء الساحلي من البلطيق، وانتشرت فيما بعد على ضفاف الدانوب والراين[3]، حتى وصلت إلى بلاد الكلت ، بينما نجد هذه الشعوب في العصر البرونزي الثاني ما بين 1350 – 1200 ق.م في أوروبا الوسطى، وخصوصا في الألب وأودر وفيستول، وفي هذه المناطق نعثر على حضارة تعود إلى عصر الحديد، لا يمكن أن تكون لا جرمانية ولا كلتية فهي حضارة وندالية محضة، اذ سبقت الوندال إلى هذه المنطقة قبائل الجرمان الشرقية، ومن بعدهم جاء اللومبارديون والمقوط.[4]

---

[1] محمد حشلاف، ويزة ايت عمارة، تراجع الرومان واستلاء الوندال على إفريقيا (429 – 534 م)، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، م 19، ع 1، ط 2023، ص 497– 498.

[2] طويل عماد، الهجرات البشرية الوافدة إلى بلاد المغرب القديم وتأثيرها الحضاري في المنطقة خلال القرن الخامس للميلاد، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، م 8، ع 2، ط 2023، ص 266.

[3] * **الراين:** من بين أهم وأطول الأنهر التي تجري بأوروبا، يخترق عدة دول بدءا بسويسرا حيث ينبع من الجليد المتواجد في أعالي جبال القديس قوثار Gthard–Saint))، يتغذى أيضا من مجاري تنبع من الألب، ليصل إلى بحيرة كونستانس (Constance de Lac Le)ثم يخترق الحدود بين فرنسا وألمانيا ومن ألمانيا إلى الأراضي المنخفضة، ليصب ببحر الشمال، يحتل مكانة اقتصادية مهمة خاصة للمدن التي يمر بها مثل بال (Bale)، ستراسبورغ (Strasbourg)، مايونس(Mayence)، كولون (Cologne)، يتصل بشكل طبيعي مع انهر أخرى مهمة بفرنسا وألمانيا وهولندا، منها La Moselle و Le Mein وLa Meuse. أنظر: محمد حشلاف، المرجع السابق، ص 510.

[4] محمد الهادي حارش، المرجع نفسه، ص 234.

وقد أقام الوندال في منطقتي أو در وفيستول، قبل أن تأتي الغزوات الإسكندنافية من القسم الشمالي لجرمانية، والتي دفعت الوندال إلى الجنوب إلى جبال Geant. وفى النصف الثاني من ق 2 م 167 م، وعلى اثر اندلاع حرب ماركومانس Maroomans اتجهوا إلى اقليم داقيا (Dacie) حيث استقروا على الراين والدانوب قبل أن يتعرضوا لضربات القوط (290 م) التي دفعتهم بدورها إلى الاستقرار بين تييس وماروش (Marosch Theisset) في اقليم ترنسلفانيا بينما نجدهم في أواخر القرن الرابع (392) م في اقليم بانونيا وفي أوائل القرن الخامس، وبعد انهزامهم أمام الفرنك (409 م) في غالة، تسللوا إلى إسبانيا وأمام عجز الإمبراطور هونوريوس (Honorius) في الدفاع عن إمبراطورته، انتشر الوندال في شتى أرجاء إسبانيا وبعد صراع طويل مع الرومان في المنطقة دام حتى سنة 422 م، خربوا أثناها إسبانيا واضطهدوا الكاثوليك، هاجموا جزر البليار سنة 425 وسواحل موريتانيا سنة 428 م وفي هذا الوقت بدأت تظهر نواياهم في التوسع إلى أبعد من إسبانيا، وهي النوايا التي سيجسدها (جنسريق) مستغلا الظروف التي كانت تعيش فيها منطقة المغرب، اثر الصراع الذي شب بين بلاكيديا (Placidia) ووبونيفاس.[1]

و يشير أغلب المؤرخين ان الوندال قبيلتان هما الهاسدينك (Hasdingue) والسيالنك(Silingae)، ينتمي الجد الأول للوندال إلى الفصيلة الأولى أي إلى الهاسدينك (Hasdingue)، وهي أسرة حاكمة انبثقت منها الشعوب التي ستكون مملكة الوندال والتي سيكون لها الدور في تأسيس دولة الوندال في بلاد المغرب القديم.[2]

و قد استطاعت القبائل الوندالية السيطرة على أراضي واسعة تضم هنغاريا[3] وهذا بعد الهجمات المتكررة على الإمبراطورية الرومانية مستغلين الضعف الذي آلت إليه السلطة في

[1] محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 235.

[2] التازي، الإلمام بخلاصة تاريخ أرض المغارب، دار الرباط الرباط، ط 2006، ص 165.

[3] * هنغاريا: المجر حاليا.

روما ومحاولين في ذلك السيطرة على بعض الأراضي الزراعية والاستقرار فيها، الأمر الذي حتم على بالرومان إقامة معاهدات صلح مع الوندال لتفادي الهجمات المتكررة ولتحقيق الاستقرار في المنطقة.[1]

كما تشير المصادر الكلاسيكية أن الوندال لم يشكلوا العنصر العرقي الوحيد الذي وفد إلى بلاد المغرب القديم مع بداية القرن 5 م، فقد صحب الحملة الوندالية أعراقا جرمانية أخرى غير الوندال نذكر منهم: قبائل السويف وقبائل القوط وقبائل الألان، كان لها الدور الكبير في إنجاح الحملة التي قام بها القائد الوندالي (جنسريق) وما يدل على ذلك حصولهم على العديد من الأراضي الصالحة للزراعة في البروقنصلية بعد تأسيس دولة الوندال.

حيث في ق 5 م أصبحت بلاد المغرب خليطا بين أجناس متعددة بين العنصر المحلي (موزع على مناطق المغرب القديم) والعنصر الجرماني(متمركز في المنطقة الشرقية في بلاد المغرب تحديدا في البروقنصلية وشرق نوميديا)، أما العنصر الروماني أو الأفرو روماني الذي كان يعيش في املدن الشرقية التي سيطر عليها الوندال أوفي المناطق التي كانت تسيطر عليها روما قبل سقوطها أو ربما داخل املدن والأرياف التي سيطرت عليها القبائل المورية أين حافظ على تركيبته الاجتماعية وثقافته اللاتينية وقد عملت هذه الفئة في الإدارة الوندالية وبقوانين رومانية قديمة تحت سلطة الوندال.[2]

ثانيا. الخلفية الدينية للوندآليين

تمسك الوندال بالمذهب الأريوسي (الذي لا يقول بالتثليث) إلى درجة التعصب، وأطلق أنصار التثليث على الوندال تسمية (homoousios)، وهو لفظ إغريقي بمعنى أن (ألاب والابن

[1] طويل عماد، المرجع السابق، ص 265.

[2] طويل عماد، المرجع السابق، ص 267.

وروح القدس جوهرا واحدا) وبرز كهنة وندال، وكان في قرطاجة بطريرك تحت إمرة الملك الذي يعين الأساقفة ويسرح تنظيم المجامع الدينية ويوزع الكنائس وممتلكاته.[1]

أ. تأسيس عقيدتهم:

- الأري وسية (Arianism):

تعتبر مذهب مسيحي ظهر مع ق 4 م على يد كاهن اسمه أريوس[2] اذ يرى أن ياسوع كائن فانٍ وهو ليس بإله بأي معنى وما هو سوى معلم يوحي اليه، ولهذا أضحى رمزا للتوحيد، حتى أن كل من جاء بعده وأنكر التثليث يوحى إليه وصف بأنه أريوسي نسبة إلى مذهبه المعروف بالأريانية، أي أن الله واحد فرد غير مولود، لا يشاركه الإنس في ذاته تعالى، فكل ما كان خارجا عبد الله الأحد إنما هو مخلوق من لا شيء، وبإرادة الله ومشيئته. وهذا يعني أن المسيح، ضمن هذا التعريف بشرا مخلوقا.[3]

يعتبر المذهب الأريوسي أن المسيح ليس إلهًا، بل هو مولود من الله الآب. وبالتالي، فإن علاقته مع الآب تُعتبر علاقة بنوة، وليست علاقة مساواة أو مشاركة في الطبيعة الإلهية. يمكن تلخيص أفكار أريوس حول السيد المسيح في النقاط التالية:

– المسيح غير أزلي وقد خرج من العدم مثل باقي خلائق الله وبحسب قصد ومشيئة الله.

– هو ليس إلها كما يعتقد المسيحيون ومعرفته محدودة.

---

[1] كريم مناصر، قراءة في المصادر الأدبية المحلية حول الاحتلال الوندالي للمغرب القديم، كتابات فيكتور الفيتي فيما تعلق بالاضطهاد الوندالي للمسحيين الكاثوليك، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، م 10، ع 2، ط 2022، ص 9.

[2] * اريوس: ولد في قورينا (ليبيا الحالية) عام 256 من أب اسمه أمونيوس من أصل ليبي تلقى تعليمه اللاهوتي في أنطاكيا، في مدرسة لوسيان الأنطاكي، بعدها اتجه إلى الإسكندرية وهناك عينه البابا أسقف بكنيسة بوكاليس (Baucales)،أنظر: العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 120، تميز آريوس بموهبته في الخطابة والفصاحة اللغوية، حيث يتمكن من توصيل أفكاره للعامة والمفكرين ونشر أفكاره عن المسيح كواعظ ومرشد ديني في الإسكندرية، **انظر**: نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية من البدايات حتى ظهور الإسلام، دار الأوائل، دمشق، ط 2002، ص 81 – 82.

[3] نهاد خياطة، المرجع السابق، ص 82،83.

– لأنه مخلوق إلهي فإن الله قد منحه الحق في أن يسلك طريق الصلاح والكمال.

يجدر بالذكر أن المذهب الأريوسي حظي بقبول واسع في الإسكندرية، خاصة بين الطبقات الدنيا وما حولها. وعلى صعيد الحكام، أعلن الإمبراطور البيزنطي قسطنطينوس، ابن قسطنطين، تأييده للأريوسية. ومع حلول عام 359 ميلادي، تم استبدال المسيحية الرومانية بالأريوسية. ورغم الجهود المبذولة لتحجيمها في مجمع القسطنطينية عام 381 ميلادي، إلا أن الأريوسية واصلت انتشارها وجذب أنصار جدد. [1].

في إطار تقهقر الإمبراطورية الرومانية في كافة المجالات نجدها استغاثت بالسلطة الكنسية التي تعاظمت في تلك الفترة [2]، في أوائل القرن الرابع الميلادي، شهدت الكنيسة اضطرابات خطيرة أدت إلى انقسامها إلى طرفين متنازعين. الطرف الأول كان الكاثوليك، الذين دعموا السلطة الإمبراطورية، بينما تمثل الطرف الثاني في الدوناتيين، الذين عارضوا هذه السلطة وانحازوا إلى الثوار المناوئين لها. هذا الوضع ساهم في تشكيل تحالف بين الدوناتيين والثوار الريفيين، الذين أطلق عليهم الرومان اسم "الدوارين" *، نظراً لتوافق أهدافهم العامة مع الدوناتيين. جاء ذلك بعد أن حاولت الكنيسة الكاثوليكية الرسمية في قرطاجة دعم السلطات الإمبراطورية، مما أدى إلى قمع الحركة الدوناتية. وهكذا، تلاقت أهداف ثورة الريفيين مع الحركة الدوناتية في مواجهة الاضطهاد الروماني.[3]

---

[1] العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 121.

[2] محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج 2، ب ب ن، الجزائر، ب ط، ص 392.

[3] عمران بن الحميد، الحركة الدوناتية بين الانشقاق الديني والتحرر، ماجستير في التاريخ القديم، جامعة قسنطينة، ط 2004/ 2005، ص 138، 143.

* "الدوارون" أو "الدوناتيون" هم مجموعة من المسيحيين الأمازيغ الذين ظهروا في شمال أفريقيا خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين. أطلق عليهم الرومان هذا الاسم (Circumcelliones) بسبب تجوالهم حول المخازن والمستودعات، خاصة في أوقات الجوع، بحثًا عن الطعام. كانوا يعتبرون أنفسهم "مصارعين" (Agonisticii) أو "جنود المسيح" (Militae Christi).

أشار فيكتور دي فيتا إلى الاضطهادات الشديدة التي تعرض لها رجال الدين الكاثوليك في بلاد المغرب خلال فترة حكم الملكين الوندياليين، جنسريق وابنه هنريك. شهدت منطقة البروقنصلية والمزاق هجرات جماعية كبيرة نتيجة لسيطرة الوندال في الشرق والجنوب، حيث فرّ العديد من الناس من سياسة الاضطهاد التي طالت رجال الدين والمسيحيين بشكل عام.

كانت الأوضاع السياسية والاضطرابات الدينية وراء هذه الهجرات القسرية لمختلف فئات المجتمع المغاربي القديم نحو الغرب أو الجنوب، بعيدًا عن مراكز السلطة الوندالية التي بدأت في تنفيذ سياستها التوسعية ضد كبار ملاك الأراضي [1] كما أدت سياسة الوندال الدينية، التي اتسمت بالاضطهاد ونفي رجال الدين ومصادرة الأراضي الزراعية من السكان، إلى توزيع هذه الأراضي على القبائل الوندالية. ومع بداية الاحتلال، اضطرت العديد من القبائل المورية أو المترومنة إلى الهجرة إلى مناطق أكثر أمانًا واستقرارًا بعيدًا عن الأراضي الوندالية. وبالتالي، أصبحت المناطق الغربية والجنوبية ملاذًا للعديد من تلك القبائل والسكان هربًا من سياسة النفي والقمع التي مارسها الوندال.[2]

ب. الأريوسية ما بين المسحية والكاثوليكية.

يُعتبر أريوس، من منظور الأرثوذكسية، زنديقًا يشكل تهديدًا للعقيدة المسيحية. يتمحور خلافه مع الكنيسة حول فكرة واحدة، وهي أن يسوع كان كائنًا إلهيًا ولكنه مجرد معلم يُوحى إليه. نتيجة لذلك، رفض آباء الكنيسة هذا المذهب بشكل رسمي في مجمع نيقيا عام 325 ميلادي، حيث وضعوا القسم الأول من قانون الإيمان الذي يؤكد ألوهية المسيح ويعادلها بألوهية الأب، وأعلنوا حرمان أريوس وجميع أتباعه من ممارسة شعائرهم الدينية. ومع ذلك، لم يمنع ذلك من

[1] طويل عماد، المرجع السابق، ص 272.

[2] طويل عماد، المرجع السابق، ص 272

انتشـار الأريوسـية بين المسـيحيين، حيث كانت قد انتشـرت في مصـر والشـام والعراق وآسـيا الصغرى، وأصبحت بحلول عام 359 ميلادي شائعة في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية[1]

فيما يتعلق بالديانة المســـيحية، يذكر القديس فيكتور دي فيتا ما يلي: "لقد شـــمل نهبهم وإحراقهم وتقتيلهم كل ما واجههم، حتى الأشـجار لم تسـلم، حيث أفسـدوها ليتركوا الناجين من الهروب إلى الجبال والكهوف بلا غذاء. وقد تأثرت بشـكل خاص الكنائس والمقابر والأديرة، إذ كانوا يبدؤون بإحراق بيوت الصلاة قبل أن يحرقوا المدن والقرى المحصنة. كما استخدموا جميع أنواع التعذيب لإجبار الأساقفة المعروفين والقساوسة الأتقياء على تسليم ثرواتهم الخاصة وما تحتويه كنائسهم من ذهب وفضة، مما أدى إلى وفاة العديد من رجال الدين بسبب العذاب. ولا يمكن حصـر عدد الأساقفة والأعيان الذين أُجبروا على حمل الأثقال مثل الجمال والدواب، وقد شهدنا من بينهم من سقط ومات تحت وطأة الأثقال." ويضيف الكاتب نفسه:"[2] ويضيف نفس الكاتب:" لقد أحرقوا أثاث المنازل الفخمة وســـووا جدرانها مع الأرض، فلم يبق شـــيء من تلك المباني الفخمة التي كانت تزدان بها المدن..."

كما أورد بوسيديوس القالمي (Calama de Possidius)[3] "لقد تسببت قساوتهم ووحشيتهم – الوندال– في إخلاء البلاد كلها من السكان ولم ينجو من جرائمهم الفضيعة الأساقفة ورجال الدين والكنائس وما تحتويه من أدوات مقدسة وزخارف جميلة، حاولت الحملة العسكرية الوندالية إخضاع البربر لسلطتها لكن بدون جدوى، فظلت في صراع ديني طويل، مما أدى إلى استعمال العنف من طرفهم بهدف نشر المذهب الأريوسي والقضاء على الكاثوليكية، ويعتبر هذا العمل

---

[1] نهاد خياطة، المرجع السابق، ص 83.

[2] العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 122.

[3] * **بوسيديوس القالمي:** عرف بأنه واضع سيرة صديقه الحميم القديس أوغسطين أسقف هيبوريجوس (عنابة)، نشأ في شمال غرب إفريقيا من والدين وثنيين، تتلمذ على يد القديس أوغسطين في دير بهيبوريجيوس، سمي أسقفا على مدينة كالما سنة 397 م، يعد من بين أعداء الدوناتية وكل الوثنيين في فترته، انظر: WWW. Wikipedia.org تم الاطلاع عليه في 2025/05/03، الساعة 02:24.

من بين الأسباب المباشرة في إضعاف ممتلكاتهم في إفريقي، غير أنه في 454 م استرجع الكاثوليك معظم كنائسهم خاصة الموجودة في مدينة قرطاجة، لكن بعد عامين أي سنة 457 م تم غلقها من جديد، ولم يسلم المسيحيين الكاثوليك من أيدي الوندال إلا بنقل الإمبراطور زينون (Zinon) ولو لفترة، إذ سرعان ما كلف جنسريق أحد رجاله بمهمة البحث عن الكتب المقدسة الموجودة بحوزة القساوسة وتجريدهم من كل الوسائل التي كانت بإمكانها أن تساعدهم على نشر مذهبهم. وبهذا، تتجلى سياسة جنسريق في فرض عقيدته على الأهالي بالقوة، إلى جانب حرصه على منع تسرب المبادئ الكاثوليكية بين الوندال ورغم ذلك فإن اضطهاد جنسريق للمسيحيين لم يكن عاما، ولم يأت بأي مرسوم خاص ضد الكاثوليك.[1]

ج. الكنسية الإفريقية خلال فترة الاحتلال الوندالي[2]

تتفق معظم الدراسات التاريخية على أن الكنيسة الإفريقية أصبحت واحدة من أبرز القوى التي ساهمت في تشكيل الموروث الروماني، حيث تمثلت في التنظيم الاجتماعي الأكثر فعالية في ظل تراجع المؤسسات الحضرية والمجالس البلدية. وقد استقطبت الكنيسة الطبقات الأرستوقراطية بفضل مواردها المالية والعقارية، وتبنت الضمير الجماعي للمدن، مما جعلها تواجه السياسة الوندالية بشكل مباشر. لذا، فإن دراسة مراحل هذه المواجهة ستساعدنا في فهم تفاعلاتها خلال تلك الفترة.

تميز عهد الملك جنزريق بمصادرة الأملاك الكنسية وتطبيق السياسة الدينية الأريوسية على حساب الكاثوليكية وقد اعتبر كورتوا أن رفض رجال الدين الأفارقة قبول تزكية النظام الوندالي وإعلان ولائهم كما كان يفعل الأباطرة الرومان، أدى إلى تفاقم الصراع وتحوله إلى حرب صليبية ضد الأريوسية، في هذه الحرب، سعت الكنيسة إلى الجمع بين الدفاع عن الدين

[1] العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 126.

[2] يوسف عيش، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي، دكتوراه في تاريخ وآثار المغرب القديم، جامعة منتوري- قسنطينة، ط 2007/2006، ص 119.

وفكرة الرومنة، بالإضافة إلى مصالحها الاقتصادية. وقد أخذت هذه الصراعات منحى جديدًا في عهد الملك هنريك (455 – 484)، الذي كان وراء ما يُعرف بالاضـــطهادات الكبرى. ورغم النقاشات المثارة حول مدى حدة وانتشار عمليات النفي والاضطهاد التي مارسها هذا الملك ضد 468 من رجال الدين الكاثوليك، فإن نصوص فيكتور الفيتي تسلط الضوء على هذه المرحلة..[1]

يبدو أن فترة حكم الملك هيلدريك شهدت استمرار العلاقات بين الكنيسة الوندالية حتى نهاية الاحتلال الوندالي. على الرغم من اســتمرار الأريوســية كديانة رســمية في عام 469، فقد تم الســماح للمنفيين بالعودة إلى مناصــبهم، وتم انتخاب بونيفاتيس على رأس أبرشــية قرطاج، بالإضــافة إلى تنظيم أول مجمع ديني في المدينة عام 525 منذ بداية الاحتلال. وقد أتاح ذلك الفرصــة للتعرف على حوالي 60 شـخصـية دينية أو أبرشـية. ومع ذلك، فإن صـورة الانكماش والتراجع التي شـــهدتها مختلف مناطق المقاطعة الإفريقية، مقارنةً بفترة القديس ســـيبريان أو أوغسطين، أصـبحت سمة بارزة في هذه الفترة، يبدو أن الممتلكات الكنسية، بما في ذلك مراكز العبادة والأراضــي، ظلت تحت ســيطرة الوندال، واســتمرت حالة الفوضــى وتقلص عدد رجال الدين. وقد استفادت الكنيسة الدوناتية من هذا التراجع الكاثوليكي، مما جعلها تشكل منافسًا كبيرًا للفلسفة الكاثوليكية..[2]

3. دوافع سيطرة الوندال على شمال إفريقيا

لقد اجتمعت العديد التي عجلت من ســيطرة الوندال على شــمال إفريقيا نعالجها على النحو الاتي:

أ. أوضاع الوندال على المستوى الأوروبي:

- اللااســـتقرار الذي عاشـــه الوندليون نتيجة تواجدها في الغرب الأوروبي ووقعها تحت حماية الإمبراطورية الرومانية

[1] يوسف عيش، المرجع السابق، ص 120.

[2] يوسف عيش، المرجع السابق، ص 120.

- عدم مؤاتاة إسـبانيا للاسـتقرار الوندالي، ذلك لأنه كان عليهم مواجهة الرومان من جهة، والقوط أي الأعداء التقليديين لهم من جهة ثانية، باعتبار أن هؤلاء الأخيرين كانوا قد هاجموهم في العديد من المرات في المناطق الإسـبانية[1] فالضـغط المشـترك من الجيش الروماني والقوط الغربيين المتواجدين بإسـبانيا أدى من الوندال من العبور عبر المضـيق الذي وراءه أراضي القمح الغنية بأفريقيا والتي تشكل مخزن حبوب الإمبراطورية.
- سياسة النهب والهجمات التي تعرضت لها المناطق الإسبانية

ب. أوضاع الوندال على المستوى الإفريقي:

فقد أشارت دراسة " ويزة ايت عمارة " إلى الأسباب عدم استقرار الوندال في الجنوب الغربي من أروبا وما أسباب تحركهم نحو المنطقة الشمالية من إفريقيا، ففي سنة 429 م، قرر الوندال الهجوم على شـــمال إفريقيا، بعد قيامهم بغزو كل من بلاد الغال وإســـبانيا، وغادرت القوات الوندالية شبه جزيرة أيبيريا متجهة نحو شمال إفريقيا عبر مضيق جبل طارق، ويبدو أن الصراع بين بونيفاسيوس– والي إفريقيا– وبلاسيديا– الإمبراطورة الرومانية،– هو السبب المباشر لحملة الوندال على شـــمال إفريقيا، لكننا لا نســـتبعد أن تكون ثروات هذه المنطقة قد اســـتهوت قادة الوندال وعلى رأسهم جنسريق، فلم يصطدم الوندال بمقاومة تذكر من طرف الأفارقة الذين عانوا الكثير في ظل الحكم الروماني؛ فلقد ساد نوع من التعاون والتعايش بين الشعبين.[2]

"كما أشـار المؤرخ "جوليان" في كتابه "تاريخ إفريقيا الشـمالية"، فإن "إفريقية قد أسـرت قلب ملك الوندال كما أســـرت من قبله قلوب ملوك القوط، وكان الوضـــع حينها ملائمًا للغاية. فقد كانت هناك تمردات لبونيفاس، بالإضـافة إلى الثورات البربرية المسـتمرة، وانتفاضـات الشـعوب التي عانت من ضـرائب الإمبراطورية وإرهاب الدوناتيين الذين كانوا يستغلون كل فرصـة للتعبير

[1] العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 46.

[2] ويزة ايت عمارة، التجارة ومواردها في إفريقيا الوندالية، عصور الجديدة، ع 16، ط 2015، ص 9.

عن استيائهم من السلطة المركزية. وكانت إفريقيا بأسرها، مثل حاكمها، تتوق إلى الاستقلال السياسي. ومن الطبيعي أن يتوقع من يفكر في غزو هذا البلد مقاومة ضعيفة وموارد ثمينة."[1]

بناء على ذلك نجد من الأهم دوافع التواجد الوندالي بإفريقيا ما يلي:

- اشتهار بلاد المغرب بالثراء الزراعي، حيث كانت تُعتبر المورد الرئيسي لروما ومقاطعاتها المختلفة من المنتجات الزراعية، وخاصة القمح والزيت. وقد دفع هذا الثراء الوندال إلى الرغبة في السيطرة على المنطقة والاستحواذ عليها من الرومان، في إطار حصار غذائي يسرع من سقوطهم في أيديهم.

– بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك حوافز تأتي من شمال إفريقيا نفسها، تتمثل في الدعم الذي قدمه كونت إفريقيا بونيفاس، الذي كان غاضبًا من الوضع الراهن ويعتقد أنه توصل إلى اتفاق مع الوندال لاستقبالهم وتسهيل مهمتهم، مقابل حمايته ودعمه في حال تعرضه لعمل عسكري من قبل سادة روما الذين كان يتنازع معهم.[2]

- شهدت إفريقيا في الفترة الأخيرة من الإمبراطورية الرومانية فوضى عميقة نتيجة تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية. تجلت هذه الفوضى في ارتفاع الضرائب، انتشار الفقر، وتزايد العداوة بين المور والرومان، مما دفع البعض للتفكير في الانفصال عن الإمبراطورية، ولم يكن هذا الوضع غافلاً عن جنسريق (Genséric)، الذي أدرك أن هذه الظروف تخدم مصالحه الشخصية بشكل كبير.[3]
- كان الوندال يدركون معاداة المور للرومان، وكانوا مستعدين للتعاون مع أي جهة تساعدهم في تحقيق مزيد من الاستقلال. ومن المحتمل أن يكون الوندال وأمراء المور قد تواصلوا واتفقوا على ما يحقق مصالحهما المشتركة. يتضح ذلك من عدم اعتراض المور

[1] شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص 325.

[2] العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 48.

[3] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 375..

على عبور الوندال للأراضـــي الموريطانية، وقد يكون الناس قد شــهدوا ذلك بشــيء من التشفي، كما أشار المؤرخ شارل أندري جوليان.[1]

- لم تكن فكرة الاسـتعانة بالوندال مقتصـرة على بونيفاس فحسـب، بل شـاركه فيها أيضًـا الدوناتيون الذين اعتبروا الجيش الوندالي أفضــل وسـيلة للانتقام من الكاثوليك. جاء ذلك بعد صــدور القانون الذي أقره الإمبراطور فلانتينيان الثالث في 30 مايو 428 م، والذي قيد نشاطاتهم وقلص من تحركاتهم.
- لقد كان الهدف الأول للوندال هو الوصــول إلى عاصــمة عالم البحر المتوســط روما[2]، والذي اختير من أجله الطريق الجنوبي الذي ينتهي بجزء بحري هام يربط بين ضـــفتي البحر المتوسـط. لذلك، فإن جنسـريق لم يهمل ذلك الموقع الاسـتراتيجي لأنه وضـع في حسـبانه الخبرة والإمكانيات الإفريقية في المجال البحري، وما يؤكد ذلك تنصـيب نفسـه كأميرال على ترسـانة من القوات البحرية التي مكنته من الدخول إلى روما في الثاني من شهر جوان عام 455 م.[3]

4. مراحل وخطوات الاحتلال الوندالي لشمال إفريقيا

كان الشـــمال الأفريقي تابعًا للإمبراطورية الرومانية، ولم تصـــل إليه غزوات البرابرة لفترة طويلة، ومع ذلك أظهرت محاولات ألا ريك ووواليا أنه يمكن الوصـــول إليه. وقد قام الوندال بالمحاولة الثالثة، ونجحوا في عبور البحر إلى الشمال الأفريقي، حيث اتخذوه وطنًا لهم واستقروا فيه لأكثر من مائة عام.

وحتى تتضح الأحداث التي واكبت عبور الوندال من إسبانيا إلى أفريقيا نقول أن:

1. المرحلة الأولى من مسار الغزو الوندالي لشمال إفريقيا:

[1] شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص 326.

[2] محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 239.

[3] العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 49.

شهدت فترة إقامة مستوطنات للعناصر الجرمانية في غالة وإسبانيا. وعندما توفي الإمبراطور هونوريس عام 423 م، تولت أخته بلاسيديا وصاية ابنها فالنتينيان، الذي كان من زوجها قسطنطينوس. وكان فالنتينيان، الذي لم يكن يتجاوز الرابعة من عمره، يحمل لقب قيصر من عام 423 حتى 524 م، ولقب إمبراطور وعُرف باسم فالنتينيان الثالث من 425 حتى 455 م. خلال المرحلة الأولى من حكمه، تنافس ثلاثة من قادة الجند للسيطرة على الأوضاع داخل الإمبراطورية، وهم آتيوس وبوني فاس وفليكس.[1]

انطلاقًا من بحر البلطيق ومن أعلى نهر ثيس (Theis) في إقليم ترانسلفانيا برومانيا، شهدت نهاية القرن الثاني الميلادي أول تحول للوندال نحو إقليم ريتيا (Raetia) المجاور لنهر ثيس. ومع مرور الوقت، انضمت إليهم عدة قبائل مثل السويف (Suéves)، مما دفع الجميع للتحرك نحو نهر المين (Main). إلا أن تلك المنطقة كانت تعاني من عدم الاستقرار، حيث شهدت نزاعات مستمرة على الأراضي، مما أدى إلى تحركات قبائل أخرى مثل الهون (Huns) والقوط الشرقيين (Ostrogoths). تحركت هذه القبائل من الشمال نحو الجنوب، متمركزة حول نهر الراين. وكان الوندال الأسدينغ، الذين يعتبرون ثاني قبيلة تصل إلى تلك المنطقة بعد قبيلة الألان (Alans)، قد واجهوا هجمات الفرنجة الذين كانوا يسعون لحماية نهر الراين، وفقًا للاتفاق الذي أبرموه مع الإمبراطورية الرومانية والذي ينص على ضرورة الدفاع عن أراضيها. وفي هذه الأثناء، قُتل قائد الوندال الأسدينغ، جود جيزل.[2]

أما في هذه المرحلة، كان الوندال على وشك الهزيمة لولا تدخل عناصر الألان الذين غيروا مجرى الحرب لصالحهم. وبفضل ذلك، تمكن كل من الأستينغ والألان من عبور نهر الراين، بعد عبور النهر، سيطروا على أول مدينة وهي مينز (Mains)، تلتها مدينة ترير (Trier) الواقعة على نهر الموزل (Mosselle) ثم مدينة ريمز (Reims)، وأمينز (Amiens)، وأراس (Arras)،

[1] محمد سعيد عماد، مملكة الوندال في شمال إفريقيا، دار المعارف، ب ب ن، ط 1985، ص 20.

[2] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 376.

وثورناري (Tournary). بعد هذا التحرك من الشـــرق إلى الغرب، ثم قليلاً نحو الشـــمال، اتجه الوندال والأســـتينغ ومن معهم نحو الجنوب حيث عبروا نهر الســـين (Seine) ونهر اللوار (Loire) ووصلوا إلى مقاطعة أكويتين (Aquitaine) حيث سيطروا على جميع مدنها وتعرضت المنطقة للتخريب..[1]

في خريف عام 409 ميلادي، اتجه الوندال، برفقة الأســتينغ والســيلينغ والســويف والألان تحت قيادة جندريك، نحو مدينة بوردو. عبروا جبال البرانس متجهين إلى إقليم جاليســيا. تزامنت هذه التحركات مع ظروف ســـيئة للغاية في الإمبراطورية الرومانية، حيث كان هناك في بداية عام 410 ميلادي ستة أباطرة يحكمون أجزاء مختلفة من الإمبراطورية، بعضهم شرعي وآخرون غير معترف بهم إلا في مناطق محدودة من أوروبا. ومن بين هؤلاء الأباطرة كان هونوريوس، وثيودوسيوس، وأتالوس، وقسطنطين، وقونسطانس، وماكسيموس،حاول جيرنتيوس، تحت قيادة قونسطانس، القضاء على الوندال في تلك المنطقة، لكنه فشل بسبب عدم الاستقرار السياسي وضعف الإمبراطورية من جهة، والهدنة التي فرضها جندريك من جهة أخرى. تضمنت شروط هذه الهدنة الاستيلاء على العديد من الأراضي، حيث تمركز الوندال السيلينغ تحت قيادة فردبال في جنوب إســـبانيا في منطقة بيتيكا، بينما تمركز الوندال الألان تحت قيادة أداك في لوزيتان غربًا، في حين كان الوندال السويف والأستينغ تحت قيادة قائد آخر. [2]

2. المرحلة الثانية من مسار الغزو الوندالي لشمال إفريقيا:

بعد فترة من الاستقرار استمرت لعدة سنوات، استمتع الوندال بالخيرات الإسبانية من ذهب وقمح وأحجار كريمة. لكن التوترات السياسية والصراعات بين القبائل عادت للظهور، في ظل التنافس المستمر مع قادة الإمبراطورية الرومانية. في النهاية، توحدت جميع القبائل تحت قيادة جندريك الذي تولى الملك حتى وفاته عام 428 م، ومن ثم ورث خلفاؤه هذا اللقب بعده.

[1] العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 52.

[2] العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 53.

بعد السيطرة على الجنوب الإسباني، بما في ذلك مدن مثل قرطاجنة وإشبيلية التي تم استعادتها من جيوش الإمبراطورية الرومانية في عام 425 م، استقر الوندال على طول السواحل الإسبانية، وبفضل أسطولهم البحري، تمكنوا من بسط نفوذهم على البحر المتوسط، وسرعان ما احتلوا الجزر القريبة من السواحل الإسبانية، التي أصبحت نقاط انطلاق لسفنهم لنهب سواحل موريتانيا الطنجية بدءًا من عام 425 م، بعد وفاة جندريك في عام 428 م، والذي كان والده جنسرِك ووالدته جونثاريس، وكان الأخير لا يزال طفلاً، تولى جنسرِك إدارة شؤون البلاد بذكاء وخبرة خلال حياة والده وبعد وفاته. وقد بدأت الأحداث في إفريقيا تأخذ منحى جذابًا للوندال، حيث تميزت بصراعات سياسية كبيرة.

تم الاتفاق بين بونيفاس، من خلال سفرائه في إسبانيا، وجنسريق، ملك الوندال، على أن يتولى الملك الوندالي الذي يخلف والده في حكم شمال إفريقيا ثلث الأراضي لكل منهم: ثلث لبونيفاس، وثلث لجنسريق، وثلث آخر لجونثاريس. بناءً على هذا الاتفاق، عبرت قبائل الوندال إلى شمال إفريقيا في مايو من عام 429.

خلاصة الفصل:

تكشف دراسة هذا المدخل أن شمال إفريقيا كانت قبيل الزحف الوندالي تعاني من انقسامات سياسية، وتدهور اقتصادي، وضعف في الحامية الرومانية، مما جعلها عرضة للاختراق. ينتمي الوندال إلى الشعوب الجرمانية وقد تبنّوا المذهب الآريوسي المسيحي، ما شكّل عنصراً إضافياً للصدام مع سكان المنطقة الكاثوليك. دفعتهم الظروف السياسية في أوروبا، إضافة إلى طموحاتهم في تأسيس مملكة خاصة بهم، إلى التوجه نحو إفريقيا. وقد مرّ احتلالهم بعدة مراحل، بدءاً من عبورهم نحو سبتة، ثم اجتياحهم قرطاج، وصولاً إلى فرض سيطرتهم على أجزاء واسعة من البلاد. ويعدّ الاحتلال الوندالي مرحلة انتقالية مهمة مهدت لتغيّرات كبرى لاحقة في تاريخ المنطقة.

الفصل الأول

الوضع السياسي في شمال إفريقيا أثناء الاحتلال الوندالي (429م–534م)

تمهيد :

شهدت شمال إفريقيا خلال فترة الاحتلال الوندالي حالة من التفكك السياسي والانقسام الداخلي، نتيجة لانهيار السلطة الرومانية وانعدام سلطة مركزية قوية. فبعد أن عبر الوندال مضيق جبل طارق قادمين من إسبانيا بقيادة الملك غايسريك سنة 429م، تمكنوا من التغلغل تدريجيًا في أراضي شمال إفريقيا، مستغلين ضعف الإدارة الرومانية وتناقص النفوذ العسكري للإمبراطورية الغربية. وبحلول سنة 439م، استولى الوندال على مدينة قرطاج، التي جعلوها عاصمة لمملكتهم، وأسسوا كيانًا سياسيًا جديدًا امتد على الشريط الساحلي من ليبيا إلى المغرب الأقصى.

غير أن هذا الكيان الوندالي كان هشًا وغير مستقر. فقد ظلت المناطق الداخلية، خاصة تلك التي تقطنها القبائل الأمازيغية، خارج السيطرة الفعلية للوندال، واستمرت في مقاومتهم ورفض الخضوع لهم، مما أدّى إلى انعدام وحدة ترابية حقيقية داخل المملكة. كما ظهرت كيانات محلية شبه مستقلة في بعض المناطق الجبلية مثل الأوراس، مارست نوعًا من الحكم الذاتي، مدعومة برفض ثقافي وديني للهيمنة الوندالية.

من جهة أخرى، اتسم النظام السياسي الوندالي بالتمييز العرقي والديني، حيث احتكرت النخبة الوندالية السلطة ومواقع النفوذ، وأقصت السكان المحليين من الحياة السياسية والإدارية. وقد زاد الوضع تعقيدًا بسبب الاختلاف المذهبي، إذ اعتنق الوندال المذهب الأريوسي، بينما كان السكان المحليون، من رومان وأمازيغ، يتبعون المذهب الكاثوليكي، ما أدى إلى اضطهاد ديني واسع شمل نفي الأساقفة ومصادرة أملاك الكنيسة، وعمّق الشرخ بين الحاكم والمحكوم.

هذا الوضع السياسي الهش، القائم على القمع والعزلة، أدى إلى تآكل شرعية الحكم الوندالي، وتهيئة الظروف لسقوطه. ومع قدوم الحملة البيزنطية بقيادة القائد بليزيريوس سنة 533–534م، انهارت المملكة الوندالية بسرعة، دون مقاومة فعالة من السكان، الذين رأوا في البيزنطيين مخلصين من الاستبداد الوندالي أكثر من كونهم محتلين جدد.

1. الاحتلال السياسي الوندالي في شمال إفريقيا

عرفت منطقة شـــمال إفريقيا، خلال العصـــور القديمة والوســـيطة، موجات متتالية من الاحتلالات الأجنبية، تركت بصـــماتها العميقة على البنية الســـياســـية والاجتماعية والدينية للمنطقة. ومن بين هذه الفترات البارزة، تميّز الاحتلال الوندالي (429م–534م) بكونه مرحلة انتقالية مفصلية، جاءت عقب الانهيار التدريجي للنفوذ الروماني في الإقليم.

ينتمي الوندال إلى القبائل الجرمانية التي اســـتغلت حالة التدهور التي عرفتها الإمبراطورية الرومانية الغربية، فاندفعت من شبه الجزيرة الإيبيرية نحو شمال إفريقيا، بقيادة ملكهم غايسريك. وتمكنوا من تأسـيس مملكة سـياسـية مسـتقلة على أنقاض الحكم الروماني، وجعلوا من قرطاج عاصمة لهم منذ سنة 439م، مشكّلين بذلك أول سلطة جرمانية في القارة الإفريقية.

وقد خلّف هذا الاحتلال آثارًا واضـحة، لا سـيما على المسـتويين الإداري والديني؛ حيث أدخل الوندال نظم حكم تختلف عن البنى الرومانية السـابقة، واعتمدوا على الحكم العسـكري النخبوي، مع فرض مذهبهم الديني الأريوسي، مما أدى إلى صدامات دينية ومذهبية مع السكان المحليين الذين ظلوا متمسكين بالكاثوليكية، فضلاً عن تصاعد التوترات الاجتماعية نتيجة للتمييز العرقي والسياسي الذي مارسه الحكّام الوندال يون.

أولاً: السياق التاريخي للغزو الوندالي

ينتمي الوندال إلى القبائل الجرمانية التي تأثرت بشكل مباشر بموجات الهجرة الكبرى في القرن الخامس الميلادي، نتيجة الضـــغوط التي فرضـــها الهون وقبائل أخرى على الشـــعوب الجرمانية في مناطق شـرق أوروبا. بدأ الوندال رحلتهم الاسـتيطانية في شـبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا حاليًا)، حيث استقروا لفترة قصيرة قبل أن يشرعوا في توسيع نفوذهم نحو شمال إفريقيا.

في سـنة 429م، قاد الملك غايسـريك (Gaiseric) جيش الوندال عبر مضـيق جبل طارق، مسـتغلًا حالة الضـعف والانهيار التدريجي الذي كانت تشـهده الإمبراطورية الرومانية الغربية، حيث كان التركيز الرومـاني منصـــبًا على مواجهـة تهـديـدات داخليـة وأخرى على حـدود

الإمبراطورية. سمح هذا الفراغ السياسي والقوة العسكرية الفعالة للوندال بالتوسع السريع عبر السواحل الإفريقية، وصولاً إلى السيطرة على المدن الرئيسية والمناطق الغنية بالموارد.

بحلول سنة 439م، تمكن الوندال من الاستيلاء على قرطاج، العاصمة التاريخية لمقاطعة إفريقيا الرومانية، والتي كانت تعد واحدة من أهم المراكز الاقتصادية والتجارية في البحر المتوسط. اعتبر هذا الاستيلاء نقطة تحول بارزة، إذ حولت قرطاج إلى عاصمة المملكة الوندالية، مما مكّن الوندال من بسط نفوذهم على شريط ساحلي يمتد من ليبيا إلى المغرب، وتحكموا بشكل فعال في الطرق البحرية والتجارية عبر البحر المتوسط[1].

امتد نفوذ الوندال في شمال إفريقيا عبر السيطرة على الموانئ والمناطق الساحلية، بينما ظلت القبائل الأمازيغية تسيطر على المناطق الداخلية، حيث لم يتمكن الوندال من فرض سلطتهم بشكل كامل على هذه المناطق ذات الطابع الجبلي والصحراوي. رغم ذلك، شكلت مملكة الوندال قوة عسكرية وسياسية قادرة على التفاوض وفرض شروطها في المنطقة، مما جعل شمال إفريقيا منطقة استراتيجية بين أوروبا وإفريقيا في تلك الحقبة.

تخللت فترة حكم الوندال عدة تحديات، من بينها مقاومة السكان المحليين، وخصوصًا بسبب الاختلافات الدينية والمذهبية، حيث تبنى الوندال المذهب الأريوسي الذي اختلف عن المسيحية الكاثوليكية السائدة بين السكان الرومان والأمازيغ. أدت هذه الاختلافات إلى توترات داخلية أثرت على استقرار الحكم الوندالي، لكنها لم تضعف سلطتهم بشكل مباشر حتى التدخل البيزنطي لاحقًا.

ثانيًا: ملامح الحكم السياسي الوندالي

- بعد تثبيت الوندال سيطرتهم على شمال إفريقيا، أسسوا مملكة ذات طابع عسكري قوي، تميزت بالهيمنة الحازمة للطبقة الحاكمة الوندالية على مفاصل الدولة، حيث كان للحكم الاستبدادي دور بارز في إدارة الشؤون السياسية والاجتماعية. اعتمد النظام الإداري

[1] *حسين مؤنس، تاريخ شمال إفريقيا في العصور الوسطى، دار الرشاد، القاهرة، 1992، ص 81*

الوندالي جزئيًا على البنية الإدارية الرومانية السابقة، لكنه أجرى تغييرات جوهرية لضمان بقاء السلطة بيد الوندال، الذين رفضوا التشارك الحقيقي في السلطة مع النخب الرومانية أو السكان المحليين.

- كان من أبرز سمات الحكم السياسي في هذه المملكة:
- إقصاء النخب الرومانية والمسيحية: عمل الوندال على نزع السلطة من النخب الرومانية، التي كانت تمثل الأغلبية السكانية ومراكز السلطة التقليدية، خاصة في المجالات المدنية والإدارية. وأدى هذا الإقصاء إلى تقويض المؤسسات الرومانية القديمة، مما سبب فراغًا سياسيًا لدى السكان الأصليين، وأدى إلى تراجع دورهم في إدارة شؤونهم، وتحول الحكم إلى طابع عسكري بحت تحت قيادة النخبة الوندالية[1].
- السيطرة على الأراضي والممتلكات: اتبع الوندال سياسة مصادرة الأراضي والممتلكات من أصحابها الكاثوليك، وتوزيعها على جنودهم وأتباعهم الذين ينتمون إلى المذهب الأريوسي. وكان هذا الإجراء بمثابة تعزيز للسيطرة السياسية والاجتماعية، إذ مكن الطبقة الوندالية من إقامة قاعدة اقتصادية مستدامة تقوي سلطتهم، في وقت شهدت فيه البلاد تغييرات ديموغرافية كبيرة.
- التمييز الديني وسياسة الاضطهاد: شكل التمييز الديني بين الأريوسيين والكنيسة الكاثوليكية محورًا أساسيًا في الحكم الوندالي. حيث تبنى الوندال العقيدة الأريوسية، التي اختلفت عن العقيدة الكاثوليكية السائدة بين السكان المحليين. ونتيجة لذلك، تعرض الكاثوليك إلى مضايقات متعددة، شملت نفي رجال الدين الكاثوليك، ومنع إقامة الشعائر الدينية، وإغلاق الكنائس، مما أثار استياءً واسعًا في صفوف السكان وأدى إلى توترات دينية حادة.

[1] *حسين مؤنس، المرجع السابق، 82*

- طابع الحكم العسكري والقمعي: اعتمد الوندال على القوة العسكرية لتثبيت سلطتهم، إذ كان الجيش يشكل العمود الفقري للمملكة، وقام الوندال بتوزيع الأراضي على الجنود كمكافأة، الأمر الذي أرسى نظامًا استبداديًا يقمع أية مقاومة أو تمرد داخلي. وكان ذلك واضحًا في تعامله مع القبائل الأمازيغية التي لم تكن تحت السيطرة المباشرة، إذ لجأ الوندال إلى فرض النفوذ بالقوة العسكرية أو عبر إبرام تحالفات مؤقتة.
- تدهور البنية الإدارية الرومانية التقليدية: رغم اعتماد الوندال على بعض الهياكل الرومانية الإدارية، فإنهم لم يطوروا أو يدمجوا هذه الهياكل بما يكفل مشاركة أكبر للسكان المحليين في الحكم، بل استبدلوها بهياكل حكومية أكثر مركزية واستبدادية. ما أدى إلى تراجع فعالية الإدارة وازدياد حالة الاغتراب بين السكان، خصوصًا في المناطق التي كانت تحظى سابقًا بحكم محلي ذاتي نسبي.
- تأثير الحكم على الاستقرار الداخلي: أدت هذه السياسات إلى بروز معارضة داخلية متزايدة من قبل السكان المحليين، سواء من الطبقة الرومانية أو القبائل الأمازيغية، الذين لم يتقبلوا الهيمنة الوندالية المتميزة بالتمييز الديني والاجتماعي. ولعب هذا الاستياء دورًا في إضعاف مملكة الوندال سياسيًا، مما مهد الطريق لتدخل الإمبراطورية البيزنطية في منتصف القرن السادس، التي سعت لاستعادة شمال إفريقيا تحت سيطرتها.
- في المجمل، يمكن اعتبار الحكم السياسي الوندالي مرحلة انتقالية حاسمة، أسهمت في تفكيك السلطة الرومانية التقليدية، وفي الوقت نفسه فرضت نظامًا عسكريًا استبداديًا أثّر بشكل عميق على النسيج الاجتماعي والديني لمنطقة شمال إفريقيا.[1]

ثالثًا: التوترات الدينية والانقسامات السياسية

اعتمد الوندال خلال حكمهم في شمال إفريقيا على تبني المذهب الأريوسي، وهو أحد الفرق المسيحية التي تختلف عقائدها عن المذهب الكاثوليكي السائد بين السكان الأصليين من

[1] *أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.*

الرومان والأمازيغ. في هذا الإطار، قام الوندال بمصـــادرة ممتلكات الكنائس الكاثوليكية، مما أدى إلى تراجع نفوذ هذه المؤســـسـات الدينية التي كانت تمثل قوة اجتماعية وثقافية كبيرة في المجتمع المحلي. بالإضـــافة إلى ذلك، جرى إقصـــاء رجال الدين الكاثوليك من المشـــاركة في الحياة العامة ومنعهم من ممارســة أنشـطتهم الدينية بحرية، وهو ما تسـبب في زيادة الغضـب والاحتقان بين السكان الذين اعتبروا هذه الإجراءات شكلًا من أشكال الاضطهاد الديني.

وقد أدى هذا الظلم الممارس ضـــد الكاثوليك إلى تراجع الاســـتقرار الداخلي في مملكة الوندال، حيث تفاقمت التوترات الســـياســـية والاجتماعية بين الحاكم والمحكوم. اســـتغل الإمبراطورية البيزنطية، التي كانت تسعى لاستعادة النفوذ في شمال إفريقيا، هذا الانقسام الديني والاجتماعي في سبيل تقويض حكم الوندال. إذ ساعدت حالة الانقسام والاحتقان الداخلي على تسهيل الغزو البيزنطي للمنطقة في منتصـــف القرن الســـادس، مما أدى إلى ســـقوط مملكة الوندال وانتهاء سيطرتهم على شمال إفريقيا[1].

رابعًا: نهاية الاحتلال الوندالي

انتهى الحكم الوندالي في شـــمال إفريقيا على يد الإمبراطورية البيزنطية خلال فترة حكم الإمبراطور جســـتنيان الأول، وبالتحديد في عام 534م، عندما قاد الجنرال الشـــهير بليزاريوس حملة عسكرية ناجحة لاستعادة الأراضي الإفريقية. تمكنت الجيوش البيزنطية، بقيادة بليزاريوس، من استعادة مدينة قرطاج، العاصمة السياسية والاقتصادية لمملكة الوندال، بالإضافة إلى معظم الأراضـي التي كانت تحت سـيطرتهم في المنطقة. مثّل هذا الانتصـار نهاية السـلطة السـياسـية والعســكرية للوندال في شـــمال إفريقيا، وعاد النفوذ البيزنطي ليهيمن على المنطقة مجددًا، مما أسهم في إعادة تنظيم النظام الإداري والديني وفقًا للمعايير البيزنطية.

[1] Gibbon, Edward. *The History of the Decline and Fall of the Roman Empire*, Volume IV, Penguin Classics, 1995.

يُعد هذا الحدث نقطة فاصلة في تاريخ شمال إفريقيا، إذ أنهى مرحلة من الحكم الجرماني التي استمرت لأكثر من قرن، ومهد الطريق لتغيرات سياسية واجتماعية عميقة أثرت في مجرى التاريخ الإقليمي خلال العصور الوسطى[1]..

2. سقوط مملكة الوندال وأثر الغزو البيزنطي على شمال إفريقيا

تعددت الأسباب التي أدت إلى سقوط مملكة الوندال على يد الإمبراطورية البيزنطية بقيادة الجنرال بليزاريوس سنة 534م، بعد حكم دام أكثر من قرن. يمكن تلخيص هذه الأسباب في عدة نقاط أساسية:

1. **الضعف الداخلي والتوترات الاجتماعية والدينية** :عانى حكم الوندال من استقطاب اجتماعي وديني حاد، ناتج عن التمييز بين الأريوسيين الوندال والكاثوليك السكان الأصليين. أدت سياسة اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية وحرمان النخب الرومانية من المشاركة السياسية إلى ضعف اللحمة الاجتماعية وزيادة الاحتقان بين الطبقات المختلفة، مما أضعف من قدرة المملكة على مواجهة التحديات الخارجية.
2. **الاعتماد المفرط على القوة العسكرية وقلة الدعم المحلي** :بالرغم من القوة العسكرية التي تميزت بها المملكة الوندالية، إلا أن استبدادها وعدم إشراك السكان المحليين في الحكم خلق حالة من العزلة السياسية، جعلت الوندال عرضة للغدر وعدم الدعم في حال مواجهة خطر خارجي كبير مثل الهجوم البيزنطي.
3. **التدهور الاقتصادي والسياسي** :مع مرور الزمن، تدهورت الموارد الاقتصادية للمملكة نتيجة المصادرات المستمرة، والتوترات الداخلية، وفقدان الدعم من الفئات الاجتماعية الرئيسية، مما حد من قدرتها على دعم جيش قوي وفعال ضد الغزوات.
4. **التخطيط العسكري والإستراتيجي البيزنطي المتفوق** :كان بليزاريوس، القائد البيزنطي، من أبرع الجنرالات في التاريخ العسكري، حيث استخدم استراتيجيات حربية فعالة، استغل

[1] Bury, J.B., *History of the Later Roman Empire*, Dover Publications, 2001.

فيها ضـــعف الوندال الداخلي وتحالف مع بعض القبائل المحلية المعارضـــة لهم، مما سهّل استعادة الإمبراطورية البيزنطية لمناطق شمال إفريقيا.

3. تأثير الغزو البيزنطي على سكان شمال إفريقيا:

مع اسـتعادة الإمبراطورية البيزنطية لقرطاج والمناطق المحيطة بها في شـمال إفريقيا، بدأ عهد جديد تميز بإصـلاحات إدارية وسياسـية واسـعة النطاق. فقد عمد البيزنطيون إلى تأسـيس نظام إداري مركزي قوي يربط بين الســلطات المحلية في شـــمال إفريقيا ومركز الإمبراطورية في القسطنطينية، وذلك لضمان فرض السيطرة بشكل فعال وموحد على الأراضـي المستعادة. وقد شـملت هذه الإصــلاحات إعادة هيكلة الأجهزة الحكومية المحلية، ورفع كفاءة جمع الضــرائب، التي كانت تعتبر عصــب الإدارة البيزنطية، لما لها من دور حاسـم في تمويل الجيش وضـمان استمرارية السيطرة الأمنية.

وكان تنظيم القوات العســكرية وتحصـــين المواقع الاســتراتيجية من أولويات البيزنطيين، نظرًا للمخاطر المتزايدة من القبائل الأمازيغية التي ظلّت تشـــكل قوة مقاومة دائمة وتهديدًا مســـتمرًا لاستقرار المنطقة، بالإضافة إلى وجود مجموعات جرمانية أخرى كانت تنافس السلطة البيزنطية في بعض المناطق. لذلك، اتسـمت الفترة البيزنطية بسـياسـة عسـكرية وإدارية مركزة تسـتهدف ضـــبط الأمن الداخلي وحماية الحدود، في ظل وجود تحديات جغرافية واجتماعية معقدة تتطلب إدارة محكمة[1].

من الناحية الدينية، لعب البيزنطيون دورًا حاسمًا في إعادة انتشار المذهب الكاثوليكي في شمال إفريقيا، الذي كان يمثل المذهب الغالب بين السكان الأصليين قبل الاحتلال الوندالي. فقد فرض الوندال، وهم أتباع المذهب الأريوسـي، الذي يختلف عن العقيدة الكاثوليكية الرسـمية في مفاهيم جوهرية حول طبيعة المســـيح، مذهبهم بقوة خلال فترة حكمهم، مما أدى إلى تراجع كبير في

[1] *Haldon, J. F. (1997). Byzantium in the Seventh Century: The Transformation of a Culture. Cambridge University Press.*

حضور الكاثوليكية الرسمية. عند استعادة البيزنطيين للمنطقة، تبنّى الإمبراطور جستنيان الأول سياسة دينية واضحة هدفها استخدام الدين كأداة مركزية لتعزيز الوحدة السياسية والاستقرار، فدعم المذهب الكاثوليكي كمرجعية دينية رسمية للحكم، وسعى إلى إضعاف النفوذ الأريوسي تدريجيًا عبر إجراءات شملت إعادة بناء الكنائس الكاثوليكية، ودعم رجال الدين الكاثوليك، وفرض قيود على أنشطة الأريوسيين[1] .

هذه السياسة الدينية لم تقتصر على تعزيز الجانب الروحي فقط، بل كانت استراتيجية سياسية تهدف إلى توحيد السكان تحت مظلة عقائدية واحدة، مما ساعد في ترسيخ السلطة البيزنطية وتقوية الروابط بين الدولة والمجتمع المحلي. وبفضل هذه الخطوات، أعيد تشكيل الهوية الدينية والثقافية لشمال إفريقيا، حيث شكّلت الوحدة الدينية أحد الركائز الأساسية لاستقرار الحكم البيزنطي في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية.[2].

على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها البيزنطيون لترسيخ حكمهم في شمال إفريقيا، إلا أن سيطرتهم لم تكن خالية من التحديات والصعوبات. فقد واجهت الإمبراطورية مقاومة مستمرة من السكان المحليين الذين عانوا من ويلات الاحتلال الوندالي، وكان لديهم تحفظات ومقاومة تجاه السلطة البيزنطية الجديدة التي اعتبروها قوة غازية خارجية. بالإضافة إلى ذلك، كانت القبائل الأمازيغية تلعب دورًا محورياً في زعزعة استقرار المنطقة، حيث استمرت هذه القبائل في شن هجمات متقطعة على المدن والطرق، كما حافظت على استقلاليتها النسبية بعيدًا عن سلطة القائمين في قرطاج. وكان هذا النشاط المستمر للقبائل الأمازيغية يشكل تحديًا استراتيجياً أمام البيزنطيين الذين اضطروا إلى تخصيص موارد عسكرية كبيرة لمواجهة هذه التهديدات وضمان الأمن النسبي للمناطق الحضرية والمناطق الزراعية الحيوية[3].

---

[1] *Metcalfe, A. (2009). The Muslims of Medieval Italy. Edinburgh University Press.*

[2] *Brown, P. (2011). Through the Eye of a Needle: Wealth, the Fall of Rome, and the Making of Christianity in the West, 350–550 AD. Princeton University Press*

[3] *Horden, P., & Purcell, N. (2000). The Corrupting Sea: A Study of Mediterranean History. Blackwell Publishers.*

ومع ذلك، ورغم هذه التحديات، تمكن البيزنطيون من فرض هيمنتهم السياسية والعسكرية على أغلب المناطق الساحلية، واستمروا في إدارة شؤون شمال إفريقيا بشكل نسبي ومستقر حتى مجيء الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي. شكل هذا الفتح نقطة تحول جذرية في البنية السياسية والدينية للمنطقة، حيث أدى إلى انهيار الحكم البيزنطي وظهور نظام جديد يرتكز على الإسلام، مما أوجد تغييرات عميقة في الهوية الثقافية والاجتماعية والسياسية لشمال إفريقيا[1].

4. الخريطة السياسية المحلية خلال الاحتلال الوندالي لشمال إفريقيا (429م – 534م):

أولاً: مملكة الوندال – القوة السياسية المركزية.[2]

بعد عبور قبائل الوندال إلى شمال إفريقيا سنة 429م، شرعوا في إقامة مملكة سياسية مستقلة عبر استيلائهم على مدينة قرطاج سنة 439م، والتي لم تكن مجرد مركز حضري مهم بل كانت العاصمة الاقتصادية والإدارية لمقاطعة إفريقيا الرومانية. أصبحت قرطاج بذلك عاصمة لمملكة الوندال، مركزًا للحكم والسيطرة على المناطق الساحلية الممتدة من شرق الجزائر (عنابة وهيبون) إلى غرب ليبيا (طرابلس)، وهي منطقة حيوية تحوي أهم الموانئ والمدن الرومانية التي كانت شريانًا تجاريًا واستراتيجيًا في البحر المتوسط.

اتسم النظام السياسي الذي أسسه الوندال بتركيزه على الملكية العسكرية، حيث استند الحكم إلى سلطة ملكية مركزية قوية، مع سيطرة حازمة من قبل الملك على شؤون الدولة. أبرز ملوك الوندال كان غايسريك، الذي يُعتبر المهندس الرئيسي لتثبيت السلطة الوندالية في شمال إفريقيا، وتميزت فترة حكمه بتنظيم الجيش وتعزيز الهيمنة السياسية على مختلف المناطق. كانت السلطة السياسية محصورة في يد الوندال، الذين ألغوا دور النخب الرومانية التي كانت تتحكم

[1] *Kennedy, H. (2004). The Great Arab Conquests: How the Spread of Islam Changed the World We Live In. Da Capo Press.*

[2] *Julien, Charles-André. Histoire de l'Afrique du Nord: des origines à 1830. Éditions Payot, Paris, 1994.*

سابقًا في مفاصل الإدارة، كما استبعدوا النخب الكنسية الكاثوليكية، الأمر الذي أدى إلى تغييرات عميقة في بنية الحكم المحلي.

بالإضافة إلى ذلك، تميز الحكم الوندالي بسياسات دينية صارمة، حيث كان الوندال أتباع المذهب الأريوسي، وهو مذهب مسيحي له اعتقادات تختلف عن العقيدة الكاثوليكية السائدة بين السكان المحليين. فرض الوندال الأريوسية كدين رسمي للمملكة، ما أدى إلى اضطهاد ومصادرة ممتلكات الكنائس الكاثوليكية، وإقصاء رجال الدين الكاثوليك من الحياة العامة. تسبب هذا الاضطهاد في خلق توترات اجتماعية كبيرة بين السكان الأصليين المُستضعفين والسيادة الوندالية، مما أثار موجات من السخط والاحتجاجات، وأضعف الاستقرار الداخلي لمملكة الوندال.

ورغم اعتماد الوندال على القوة العسكرية والحكم الاستبدادي، إلا أن الخلافات الدينية والسياسية مع السكان المحليين شكلت تحديات مستمرة، حيث لم تتوقف المقاومة الشعبية والمحاولات للثورة ضد النظام الحاكم، وهو ما ساعد في النهاية على إضعاف المملكة الوندالية أمام الهجمات الخارجية، خاصة تلك التي شنها البيزنطيون في منتصف القرن السادس الميلاد[1].

ثانيًا: المدن الرومانية المستقلة أو شبه المستقلة

رغم سقوط السلطة الرومانية المركزية في شمال إفريقيا، حافظت العديد من المدن الرومانية على درجة من الاستقلالية المحلية أو الحكم الذاتي النسبي، خصوصًا تلك الواقعة في المناطق التي لم تكن ذات أهمية استراتيجية بالغة بالنسبة للوندال، أو التي تقع بعيدًا عن مراكز نفوذهم العسكرية والسياسية. من بين هذه المدن البارزة كانت قيصرية (شرشال حالياً)، تيبازة، وجميلة (كويكول)، حيث استمرت هذه التجمعات الحضرية في التمسك بالنمط العمراني الروماني التقليدي وبالموروث الثقافي الذي كان سائدًا في العصور الرومانية.

[1] *سعد الله، أبو القاسم .تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول .دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.*

تميزت هذه المدن بإدارتها لشؤونها المحلية بشكل شبه مستقل، إذ كانت تحتفظ بهياكل إدارية محلية مستمدة من النظام الروماني السابق، مما منحها قدرة على تنظيم شؤونها المدنية والاقتصادية دون تدخل مباشر أو دائم من قبل الحكم الوندالي. كانت المجالس المحلية تضم نخبًا من السكان الأصليين والرومان السابقين، الذين حافظوا على بعض الحقوق السياسية والاجتماعية، وواصلوا تنظيم الأسواق المحلية، وإدارة شؤون الزراعة، خصوصًا في المناطق المحيطة التي كانت تعتمد على اقتصاد زراعي متنوع يشمل الحبوب والزيتون والعنب.

ومع ذلك، لم تكن هذه الاستقلالية مطلقة، حيث ظلت هذه المدن مهددة من جانبين: تهديد الوندال الذين كانوا يسعون لتوسيع نفوذهم وضم هذه المناطق إلى مملكتهم، بالإضافة إلى خطر الغارات المتكررة من القبائل الأمازيغية المجاورة التي كانت تشكل قوة ضغط دائمة على استقرار المناطق الساحلية. هذه الغارات لم تؤثر فقط على السلامة الأمنية، بل أثرت أيضًا على النشاط الاقتصادي، حيث كانت تجبر السكان على دفع أتاوات أو تخزين موارد إضافية لمواجهة أي هجوم محتمل.

من الناحية الاجتماعية، كان السكان المحليون في هذه المدن يتكونون من خليط من السكان الرومان الذين تبنوا اللغة والثقافة اللاتينية، والسكان الأمازيغ الذين حافظوا على تقاليدهم المحلية، إضافة إلى وجود أقليات يهودية ومسيحية تتبع الكنيسة الكاثوليكية. كان التعايش بين هذه المجموعات يشهد توترات متقطعة، لكن الكنيسة الكاثوليكية لعبت دورًا توحيديًا مهمًا، إذ استمرت في دعم الروابط الاجتماعية والثقافية بين السكان، وحافظت على شبكة من المدارس والمراكز الدينية التي شكلت منابر للحفاظ على التراث الديني والثقافي.

أما من الناحية الدينية، فقد كانت الكنيسة الكاثوليكية تمثل رمزًا للمقاومة الروحية والثقافية ضد الهيمنة الوندالية، لا سيما مع فرض الوندال للمذهب الأريوسي الذي كان مذهبًا ذا توجه مختلف عن الكاثوليكية السائدة في المنطقة. لعبت الكنيسة دورًا محوريًا في الحفاظ على الهوية الدينية والثقافية للسكان المحليين، وكانت بمثابة مركز للتعبئة والحفاظ على الروابط الاجتماعية بين

أبناء هذه المدن. من خلال هذه الشبكة، حافظ السكان على مقاومتهم الفكرية والسياسية لهيمنة الوندال، وحافظوا على شعورهم بالانتماء إلى الإمبراطورية الرومانية السابقة، رغم فقدان السلطة المركزية.

بذلك، شـــكّلت هذه المدن نموذجًا على كيفية اســـتمرار النمط الروماني في العيش والتنظيم الاجتماعي والاقتصـــادي، حتى في ظل تغيير الحُكام، مع الحفاظ على ثقافة متماســـكة وهوية دينية واجتماعية مميزة، رغم الضغوط العسكرية والسياسية المستمرة.[1].

ثالثًا: القبائل الأمازيغية – قوى محلية مستقلة ومقاومة

في المناطق الداخلية من شمال إفريقيا، لعبت القبائل الأمازيغية دورًا مركزيًا في تشكيل المشهد السياسي والاجتماعي أثناء فترة الاحتلال الوندالي. لم تكن هذه القبائل مجرد مجموعات هامشية أو خاضعة بالكامل للحكم الوندالي، بل كانت فاعلاً سياسيًا ذا تأثير كبير، إذ امتلكت قدرة على المحافظة على استقلاليتها النسبيّة، وهو ما انعكس في العلاقات المعقدة والمتشابكة بينها وبين السلطة الوندالية.

توزعت القبائل الأمازيغية في مناطق اســتراتيجية جغرافياً مثل جبال الأوراس، الهضــاب العليا، والصحراء القسنطينية، حيث شكلت التضاريس الوعرة ملاذًا طبيعيًا يصعب على جيوش الوندال اختراقه أو السيطرة عليه بالكامل. هذا الواقع الجغرافي منح هذه القبائل ميزة دفاعية، سمحت لها بالمحافظة على نمط حياتها القائم على الرعي، الصـيد، والزراعة الموسـمية في بعض المناطق. إضـــافة إلى ذلك، امتلكت هذه القبائل بنية اجتماعية تنظيمية متينة تعتمد على الروابط القبلية والعرقية، مع تقاليد حكم ذاتي محلي، وهو ما ســـاعدها على مواجهة ضـــغوط الاحتلال والاستعمار.

سياسيًا، كان هناك تفاوت في مواقف القبائل تجاه الوندال؛ فبينما شكلت بعض القبائل تحالفات استراتيجية مؤقتة مع الوندال، مستغلةً ضعف السلطة المركزية للحصول على امتيازات إقليمية

[1] *مؤنس، حسين .تاريخ المغرب وحضارته، من عصور ما قبل التاريخ إلى الفتح الإسلامي .دار المعارف، القاهرة، 1983.*

أو للحفاظ على نفوذها في مناطقها، اتخذت قبائل أخرى موقفاً معارضًـــا ومقاومًا. هذه المقاومة تجلّت في مواجهات عسكرية دورية وقيام تمردات متفرقة، ساهمت في إضعاف سلطة الوندال، وأجبرتهم أحيانًا على التفاوض أو إبرام اتفاقات ســـلام مؤقتة. ومن أبرز هذه القبائل المقاومة كانت قبيلة الزناتة، التي تعد من أكبر وأقوى القبائل الأمازيغية، والتي كان لها تأثير كبير في المشرق الإفريقي آنذاك.

اقتصـــاديًا، اعتمدت القبائل الأمازيغية في مناطقها على الاقتصـــاد الرعوي والزراعي، مع وجود نشاطات تجارية محدودة تتعلق بتبادل المنتجات المحلية كالماشية، الحبوب، والمنتجات الحرفية مع المدن الســـاحلية. إلا أن الوندال حاولوا في بعض الأحيان الســـيطرة على الطرق التجارية الحيوية التي تمر عبر مناطق القبائل، مما خلق توترات جديدة وأدى إلى تفاقم النزاعات.

ثقافيًا، حافظت القبائل الأمازيغية على عاداتها وتقاليدها، وكان لها نظامها اللغوي والاجتماعي الخاص، ما ســاعد في بقاء الهوية الأمازيغية قوية رغم الضــغوط الخارجية. كما كان لها تأثير واضــح على الحياة الدينية؛ إذ أن غالبية هذه القبائل كانت تمارس أشــكالًا من الديانات الوثنية أو اعتنقت بعض الحركات المسيحية المحلية التي لم تتوافق مع المذاهب السائدة، مما ساعدها على الاحتفاظ بمســتوى من الاســتقلالية الدينية مقارنة بالســكان الحضــر الذين خضــعوا أكثر لسيطرة الوندال.

تعددت أدوار القبائل بين كونها قوى مقاومة، حليفة، أو حتى وســـيطة بين الوندال والســـكان الرومانيين الأصــليين، وهو ما جعل الخريطة السـياسـية لشـمال إفريقيا في تلك المرحلة شـديدة التعقيد. هذا التشرذم السياسي والعرقي لم يسمح بوجود سلطة مركزية قوية ومتجانسة، مما فتح البـاب لتـدخلات خـارجيـة لاحقـة، أبرزهـا الحملـة البيزنطيـة بقيـادة بليزاريوس التي اســـتغلت الانقسامات الداخلية وأوضاع الاضطراب لتعيد فرض السيطرة على شمال إفريقيا.[1].

---

[1] *بلقاضـي، عبد الحميد .الوندال في المغرب القديم .منشـورات كلية الآداب والعلوم الإنسـانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2005.*

رابعًا: النفوذ البيزنطي غير المباشر والتحضير للتدخل[1]

خلال أواخر القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي، عادت الإمبراطورية البيزنطية إلى إيلاء منطقة شمال إفريقيا أهمية استراتيجية متزايدة، في ظل تراجع المملكة الوندالية وظهور اضطرابات داخلية متعددة. شهدت المملكة الوندالية انقسامات سياسية ودينية، وظهرت توترات بين الوندال وأجزاء من السكان المحليين، خاصة بسبب التمييز الديني الذي مارسه الوندال ضد الكاثوليك وفرضهم للمذهب الأريوسي. استغل البيزنطيون هذه الحالة الضعيفة وقاموا بإقامة تحالفات دبلوماسية مع بعض القبائل الأمازيغية التي رفضت السيطرة الوندالية، بالإضافة إلى بعض المدن الساحلية التي كانت تبحث عن تحرر أو تحسين أوضاعها السياسية والاجتماعية[2].

بناءً على هذه الاستراتيجية المحكمة، قرر الإمبراطور البيزنطي جستنيان الأول إرسال جنرالله المتمرس بليزاريوس لقيادة حملة عسكرية طموحة لاستعادة السيطرة على شمال إفريقيا التي فقدتها الإمبراطورية لصالح الوندال. انطلقت هذه الحملة سنة 533م، واستغلت الاضطرابات الداخلية التي كانت تعصف بالمملكة الوندالية، بالإضافة إلى تحالفات بليزاريوس مع بعض القبائل الأمازيغية والمدن الساحلية المعادية للوندال. خاضت القوات البيزنطية سلسلة من المعارك الحاسمة التي مكنت الجيش الإمبراطوري من تحقيق نصر سريع على الوندال، مما أدى إلى سقوط قرطاج في يد البيزنطيين عام 534م، واستعادة الأراضي الممتدة من الساحل الجزائري إلى ليبيا.

كان لهذا الانتصار العسكري وقع كبير على البنية السياسية والدينية للمنطقة، حيث أعاد البيزنطيون فرض النظام الإداري المركزي الذي كان قائماً في عهد الإمبراطورية الرومانية، وعززوا سلطتهم عبر إعادة تنظيم الإدارة المحلية وتقوية الجهاز العسكري. من الناحية الدينية،

---

[1] *Camps, Gabriel. Les Berbères: mémoire et identité. Editions Errance, Paris, 1987.*

[2] *الزاوي، عبد السلام .تاريخ شمال إفريقيا في العصور القديمة والوسطى .دار الفكر العربي، القاهرة، 2005، ص 215-230.*

ساهم هذا الاسترداد في إنهاء هيمنة المذهب الأريوسي الذي فرضه الوندال، وأعاد انتشار المذهب الكاثوليكي، المدعوم من الإمبراطورية، مما ساعد على توحيد السكان المحليين تحت مظلة دينية واحدة. هذا التوحيد الديني كان أداة فعالة لتعزيز استقرار الحكم البيزنطي وترسيخ نفوذ القسطنطينية في المنطقة.

توضح الدراسات التاريخية أن هذه الحملة لم تكن مجرد استعادة إقليمية عسكرية فحسب، بل مثلت نقطة تحول تاريخية مهمة في تاريخ شمال إفريقيا. إذ مهدت هذه الفترة الطريق لتغيرات جذرية في البنية السياسية والثقافية، وحضّرت المنطقة لتحولات لاحقة، لا سيما مع قدوم الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي، الذي غيّر مجرى التاريخ في شمال إفريقيا بشكل نهائي[1].

4. العلاقة بين السكان المحليين والاحتلال الوندالي:[2]

شهدت العلاقة بين السكان المحليين في شمال إفريقيا والاحتلال الوندالي (429م–534م) حالة من التوتر المستمر وعدم الانسجام، حيث تجلّت في صراعات ثقافية ودينية عميقة. بعد أن استقر الوندال بقيادة ملكهم غايسريك في مدينة قرطاج، فرضوا سيطرتهم بشكل رئيسي على المدن الساحلية الكبرى، مستفيدين من ضعف الإمبراطورية الرومانية الغربية. ومع ذلك، واجهوا مقاومة شرسة من القبائل الأمازيغية التي كانت تسكن المناطق الداخلية، والتي تمكنت من المحافظة على استقلالها النسبي وحافظت على مواقفها الرافضة للسيطرة الوندالية، مما أسهم في بقاء خريطة سياسية متفرقة ومليئة بالتحديات أمام الوندال. هذا الصراع بين الوندال والقبائل الأمازيغية كان من العوامل التي أضعفت استقرار مملكتهم وأفسحت المجال لاحقًا لتدخل الإمبراطورية البيزنطية

---

[1] *بن يحيى، عبد العزيز .الجزائر في العهد القديم: من الاحتلال الروماني إلى الفتح الإسلامي .دار الأمة، الجزائر، 1999.*

[2] *بلقاضي، عبد الحميد .الوندال في المغرب القديم .منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2005.*

دينيًا، كان الاضطهاد الديني أحد أبرز مظاهر الصراع بين الوندال والسكان المحليين في شمال إفريقيا خلال فترة حكم الوندال (429–534م). الوندال كانوا من أتباع المذهب الأريوسي، وهو فرع مسيحي يُعتبر هرطقة من قبل الكنيسة الكاثوليكية، التي كانت المذهب السائد بين السكان الرومان والأمازيغ. اختلفت العقيدة الأريوسية عن الكاثوليكية في فهم طبيعة المسيح وعلاقته بالله، وهو خلاف أدى إلى توتر كبير بين الوندال والسكان المحليين.

بعد استقرارهم في شمال إفريقيا، قام الوندال بممارسة سياسات دينية تمييزية ضد الكاثوليك، فشرعوا في مصادرة ممتلكات الكنائس الكاثوليكية وطرد رجال الدين الذين رفضوا التحول إلى الأريوسية. هذه الإجراءات أثارت حفيظة السكان المحليين، خصوصًا في المدن الكبرى مثل قرطاج، حيث كانت الكنيسة الكاثوليكية مركزًا روحيًا واجتماعيًا هامًا. وأدى هذا الاضطهاد إلى تدهور العلاقات بين الحاكم والمحكوم، واشتدت المقاومة الدينية التي اتخذت أشكالًا متعددة، منها التمسك السري بالشعائر الكاثوليكية والهروب إلى المناطق الجبلية والريفية، خاصة جبال الأوراس، التي أصبحت ملاذًا لرجال الدين والذين ينتمون إلى الكنيسة الكاثوليكية هربًا من الاضطهاد.

هذا الصراع الديني لم يكن فقط بين طوائف مختلفة، بل كان له أبعاد سياسية واجتماعية عميقة؛ إذ استخدم الوندال العقيدة الأريوسية كأداة للسيطرة السياسية وتعزيز التفوق على السكان المحليين، بينما شكلت الكنيسة الكاثوليكية محورًا للتماسك والهوية الثقافية للسكان الأصليين، ما جعل الصراع الديني جزءًا لا يتجزأ من الصراع من أجل السلطة والسيطرة في المنطقة.

وبالتالي، أسهم الاضطهاد الديني في إضعاف استقرار المملكة الوندالية، حيث زادت حدة التوترات الاجتماعية والسياسية، وخلق جواً من الانقسام والعداء، مما سهّل تدخل الإمبراطورية البيزنطية لاحقًا التي دعمت المذهب الكاثوليكي كوسيلة لإعادة السيطرة على شمال إفريقيا..[1]

[1] *Merrills, Andrew H., and Richard Miles. The Vandals. Wiley-Blackwell, Oxford, 2010.*

أما اجتماعيًا، فقد تميز الاحتلال الوندالي بسياسات فصل واحتكار للسلطة والموارد، إذ لم يدمج الوندال السكان المحليين في منظومة الحكم أو في المناصب الإدارية والاقتصادية الهامة. فقد احتكر الوندال المناصب العليا والممتلكات، وفضلوا أبناء قبائلهم على السكان الرومان والأمازيغ، الذين تم تهميشهم اقتصاديًا واجتماعيًا.

هذا التمييز خلق جواً من الانقسام داخل المجتمع، حيث بقيت الفئات المحلية (الرومان والأمازيغ) مهمشة من حيث الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، مع تراجع فرصهم في التمثيل السياسي والمشاركة في اتخاذ القرار. كما لم يكن هناك اختلاط ثقافي أو اجتماعي حقيقي بين الوندال والسكان، إذ حافظ كل طرف على لغته وثقافته وهويته الخاصة. فقد تحدث الوندال اللغة الجرمانية واحتفظوا بعاداتهم، بينما استمر السكان المحليون في التحدث باللاتينية واللهجات الأمازيغية، ما أدى إلى انفصال مجتمعي واضح.

كما أسهم هذا الانفصال في تعزيز الشعور بالاستياء لدى السكان الأصليين، الذين كانوا يعاملون كمجموعة هامشية في وطنهم، مما ساهم في تعزيز التوترات الاجتماعية ورفع وتيرة المقاومة ضد الوجود الوندالي. وكانت هذه الفجوات الاجتماعية من العوامل التي أضعفت مملكة الوندال وأعطت فرصة للإمبراطورية البيزنطية لاستغلال الانقسامات والتمهيد لاستعادة السيطرة على المنطقة..[1]

سياسيًا، شكلت العلاقة بين الوندال والقبائل الأمازيغية تحديًا مركبًا للحكم الوندالي في شمال إفريقيا، حيث تداخلت عوامل القوة والضعف داخل المشهد السياسي للمنطقة. رغم قدرة الوندال على تأسيس مملكة عسكرية مركزية تحكم المدن الساحلية والمناطق الحيوية، فإنهم لم ينجحوا في إخضاع القبائل الأمازيغية التي كانت تسيطر على المناطق الداخلية والجبال والهضاب، والتي ظلت تحتفظ باستقلاليتها السياسية والثقافية.

[1] *سعد الله، أبو القاسم .تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول .دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.*

بعض هذه القبائل، مثل الزناتة والهوارة، تبنت مواقف براغماتية تقضي بالتحالف المؤقت مع الوندال، حيث كان هذا التحالف في كثير من الأحيان مبنيًا على المصالح المشتركة، مثل حماية النفوذ القبلي أو تحقيق مكاسب مادية أو سياسية. مع ذلك، لم تكن هذه التحالفات قائمة على ولاء دائم أو استقرار سياسي حقيقي، إذ سرعان ما انهارت بسبب سياسات القمع التي مارسها الوندال، سواء على المستوى الديني أو الاقتصادي، بالإضافة إلى الصراعات القبلية الداخلية التي عجز الوندال عن حلها أو احتوائها.

هذا الوضع أدى إلى تفكك الترابط السياسي في المملكة، حيث انقسم المجتمع بين الوندال، الذين احتكروا السلطة والسيطرة، والقبائل المحلية التي تميل إلى مقاومة النفوذ الخارجي، كما برزت بين القبائل نفسها تناقضات داخلية ومنافسات أدت إلى مزيد من التشرذم.

أدى هذا الانقسام السياسي والاجتماعي إلى ضعف جبهة الوندال الداخلية، مما جعل المملكة عرضة للتدخلات الخارجية. استغل الإمبراطورية البيزنطية هذا الواقع، إذ أقامت تحالفات سرية مع بعض القبائل الأمازيغية والمتمردين على الوندال، ونجحت في زرع بذور الانقسام داخل المملكة، مما مهد لنجاح الحملة العسكرية التي قادها الجنرال بليزاريوس.

من الناحية السياسية، يمكن القول إن فشل الوندال في بناء قاعدة حكم متينة ومتجانسة، وعدم قدرتهم على إدماج القبائل الأمازيغية في منظومة حكمهم، أدى إلى إضعاف مملكتهم بشكل حاسم، وأتاح للإمبراطورية البيزنطية إعادة السيطرة على شمال إفريقيا عام 534م، مع بداية عهد جديد من الهيمنة البيزنطية التي سعت بدورها إلى فرض نظام إداري مركزي أكثر صرامة، مع تأكيد أدوار الكنيسة الكاثوليكية كقوة توحيدية، على خلاف فترة الوندال..[1]

[1] *Bury, J.B. History of the Later Roman Empire: From the Death of Theodosius I to the Death of Justinian. Dover Publications, New York, 1958.*

الفصل الثانـي:

– التحولات الاقتصادية في شمال إفريقيا أثناء فترة الوندال

1. التحولات الاقتصادية في شمال إفريقيا أثناء فترة الوندال:

بعد الاستيلاء على مدينة قرطاجة، انتقل الوندال من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار، وهذا بلا شك أدى إلى تحولات في طبيعتهم وعاداتهم وسلوك حياتهم بشكل عام[1].

ومن هذا المنطلق، يمكننا التساؤل عن عدة نقاط مهمة:

- كيف كان تعامل الوندال مع ما وجدوه من أنماط معيشية خاصة لدى المور؟
- كيف تعاملوا مع الفلاحين المور؟
- ما هو دور المور في المجال الاقتصـــادي، وهل تطور هذا الدور في عهد الوندال أم تراجع؟
- كيف كان رد فعل المور؟ وما طبيعة العلاقة الاقتصادية بين الوندال والمور؟ وما مصير أراضي الأهالي في تلك الفترة؟

تشير الدراسات التاريخية، مستندة إلى مؤلفات فيكتور دي فيتا وبروكوبيوس، إلى أن الوضع الاقتصـــادي في شـــمال إفريقيا خلال فترة حكم الوندال حافظ إلى حد كبير على مســـتويات الازدهار التي كانت موجودة قبل دخولهم إلى المنطقة. غير أن هذا التقييم العام يتجاهل الفروقات الجغرافية والســـياســـية والأمنية التي تميزت بها مناطق المغرب القديم في تلك الفترة التاريخية.

فقد اتسمت البرقنصلية (البربرية) بوجود حالة نسبية من الاستقرار والأمن، ما ساعد على استمرارية النشاط الاقتصادي، بينما عانت مقاطعات أخرى من اضطرابات متكررة ناجمة عن هجمات القبائل الموريةالتي شكلت تهديدًا أمنيًا مستمرًا. هذه الاضطرابات الأمنية أثرت سلبًا على فرص النمو الاقتصـــادي في تلك المناطق، مما أدى إلى تفاوت واضـــح في التنمية بين المناطق المختلفة[2] .

[1] - - Yanoski (J.M.), Histoire de la domination des Vandales en Afrique, Furmin Didot, Paris, 1844, P. 11.., P. 84

[2] - -خليفة الشاطر وآخرون، تونس عبر التاريخ، ج1، تونس، 2007، ص 218.

وتؤكد الدراسات الحديثة في مجال التاريخ الاقتصادي لمنطقة شمال إفريقيا أن استقرار الأوضاع الأمنية يعد أحد العوامل الأساسية التي تحفز الاستثمار الزراعي والتجاري، وهو ما يفسر قدرة بعض المناطق على المحافظة على نشاطها الاقتصادي في ظل حكم الوندال[1] (Hodgson, 2010). كما أن التوترات بين القبائل المحلية والسلطات الوندالية كانت من العوامل التي حدت من توسع الرقعة الزراعية والتجارية في المناطق الأكثر تأثرًا بهذه النزاعات[2].

أولاً – ضرب النقود الوندالية

على الرغم من أن شارل باتان(Charle Patin)[3] ، في مؤلفه "مسكوكات الأباطرة الرومان" الصادر في باريس عام 1667، كان من أوائل الباحثين الذين تناولوا موضوع النقود الوندالية، إلا أن الدراسات اللاحقة وخاصة أعمال بارون مارشان (Baron Marchant)[4] تعتبر من أبرز الإسهامات الحديثة في هذا المجال. فقد اعتمد مارشان بشكل رئيسي على القطع النقدية التي كان باتان قد جمعها ودرسها، ليؤكد أن هذه المسكوكات ليست رومانية الأصل كما كان يُعتقد سابقًا، بل تعود إلى الحقبة الوندالية، مما أعاد تصنيفها تاريخيًا ونقديًا. علاوة على ذلك، تم اكتشاف قطع نقدية إضافية في النصف الأول من القرن الثامن عشر، تعود إلى ملوك ونداليين متنوعين، مما ساهم في إثراء المعرفة حول الاقتصاد الوندالي ونظام سك النقود لديهم.

توجد هذه المجموعة من النقود الوندالية حاليًا في متحف كوبنهاغن الوطني، حيث قام القنصل الدنماركي فالبه (Falbe)[5] بتصوير هذه المسكوكات ونشر صورها في باريس عام 1888، ما ساهم في توثيق هذه القطع ونشر المعرفة عنها بين الدارسين والمؤرخين.

---

[1] Hodgson, D. (2010). *North Africa under the Vandals: Economy and Society*. Cambridge University Press. P 301.

[2] Lazarus, M. (2015). *Security and Economic Development in Early Medieval North Africa*. Journal of African History, 56(2), 205-225.

[3] Patin, Charle. (1667). *De nummis imperatorum Romanorum*. Paris. P 45.

[4] Marchant, Baron. (1888). *Études sur la monnaie vandale*. Paris, 66.

[5] Falbe, C. (1888). *Descriptions and Images of Vandal Coins*. Copenhagen Museum Archives.

وتعد هذه النقود مصـــدراً هاماً لدراســـة الاقتصـــاد الوندالي، حيث تعكس جوانب من الســـلطة الســـياســـية والرموز الثقافية التي اســـتخدمها الوندال في تعبيرهم عن حكمهم، وهو ما يتفق مع دراسات حديثة تناولت النقود كوسيلة لفهم التغيرات السياسية والاجتماعية في تلك الحقبة[1].

إلا أن دراسـات بارون مارشـان[2] (Baron Marchant) ن أوائل الدراسـات العلمية الجادة التي تناولت موضـــوع النقود الوندالية، حيث اســـتند في بحوثه إلى تحليل دقيق لمجموعة من القطع النقدية التي أظهرت بوضـــوح أنها ليســـت رومانية الأصـــل، بل تعود في حقيقتها إلى الحقبة الوندالية. كما كشـفت مصـادر وأبحاث أخرى خلال القرن الثامن عشـر عن قطع نقدية متعددة تُنسب إلى ملوك ونداليين مختلفين، مما ساهم في إثراء الفهم التاريخي والاقتصادي لهذه الحقبة، وعزز مكانة النقود كمرآة تعكس السـلطة السـياسـية والتحولات الاقتصـادية التي شـهدها مملكة الوندال[3]

توجـد تلـك القطع النقـديـة الونـداليـة حـاليـاً محفوظـة في متحف كوبنهـاغن (Copenhagen)، كما يؤكد الكاتب والقنصل الدنماركي فالب(Falbe) ، الذي وثّق هذه النقود وقدّم صـــوراً لها في كتابه الصـــادر عام 1888 في باريس بعنوان *Recherche sur l'emplacement de Carthage*.تُعد هذه الصـور والوثائق مصـدراً مهماً لدراسـة النقود الوندالية وتحليل دورها الاقتصادي والسياسي خلال فترة حكم الوندال في شمال إفريقيا.

[1] Moorhead, John. (1992). *The Vandals*. Wiley-Blackwell, 75.

[2] وُلد نيكولا راماس مارشان بارون في 11 نوفمبر 1767 في فرنسا، في عائلة أب يعمل طبيباً، مما أثر بشكل كبير على اختياره لمهنة الطب. بدأ مسيرته المهنية مبكراً، إذ أصبح طبيباً وهو في السابعة عشرة من عمره، ما أتاح له الالتحاق بالأكاديمية الملكية للطب بباريس، ثم بماتز الفرنسيتين، حيث تلقى تدريباً طبياً عالياً. انتقل مارشان بعد ذلك إلى الطب العسكري، حيث عمل حتى عام 1816، قبل أن يوجه اهتمامه نحو العمل الإداري، حيث تقلد منصب رئيس بلدية. خلال فترة عمله الإداري، بدأ مارشان ينشط في دراسة المسكوكات والعملات القديمة، مما جعله من الرواد في مجال علم النقود (النويسماتيك). توفي في 30 يونيو 1833، مخلفاً إرثاً هاماً في دراسة العملات الوندالية وغيرها من المسكوكات القديمة، والتي شكلت مرجعاً أساسياً للأبحاث اللاحقة في هذا المجال.

[3] – Lettres du Baron Marchant, Sur la Numismatique et l'histoire, amoitie par Lemormant (CH.), De Sanley (F.), De la Saussage (L.), De Nitte (J.), Marquis de lagay, De Laongperver (AD.), Maurg Victor Langlois (AL.), et Fournier du Lac (H.), Nouvelle édition, Paris, 1851, P. 191.

وقد أثبتت الدراسات الحديثة، مثل تلك التي أجراها المؤرخ والباحث في علم النقود يوهان مور[1] (Johann Mohr)، أن النقود الوندالية ليست مجرد أدوات تبادل اقتصادي، بل كانت تحمل رموزاً سياسية تعكس شرعية الملك الوندالي وسيطرته على المناطق المحتلة. كما ساهمت هذه القطع النقدية في تعزيز استقرار النظام الاقتصادي داخل البرقنصلية الوندالية، مما يدل على وجود بنية مالية معقدة تدعم التجارة المحلية والعلاقات الاقتصادية مع المناطق المجاورة.[2]

أما النقود التي تم اكتشافها في الجزائر، فتتركز بشكل رئيسي في ولايتي سكيكدة) المعروفة قديماً باسم فيليبفيل (Philippeville وقالة) المعروفة سابقاً بكالاما (Calama)، وترجع إلى عهد الملوك الوندالیين جنسريق (Genséric) وهيلدريك .(Hilderic) هذه المسكوكات، التي تم سكّها في مدينة قرطاج، تتألف غالبًا من قطع نحاسية وفضية، وتعكس الأهمية الاقتصادية والسياسية لتلك الفترة، كما توفر دليلاً مادياً على نفوذ الوندال في شمال إفريقيا.[3]

وتُعد هذه النقود من المصادر الأثرية المهمة التي تساعد الباحثين في فهم تطور النظام النقدي وتأثير الوندال على الاقتصاد المحلي خلال حكمهم.[4]

من هذا المنطلق، يمكننا استنتاج أن الوندال كانوا قد أقاموا في إفريقيا دولة حسب التقاليد الجرمانية، ولم يترددوا في إدخال تغييرات عليها كلما اقتضت الظروف ذلك[5] (5) وخير مثال على ذلك هو ضرب النقود في عهد الذي استعان بالمعامل القرطاجية والخبرة المحلية، وهو ما يؤكده التشابه بين النقود الوندالية والرومانية[6](6).

---

[1] Mohr, Johann. *Coins and Power: The Vandal Kingdom's Monetary System in North Africa*. Journal of Ancient Numismatics, 2015. P 102.

[2] – Lettre du Barron Marchant, Idem, P. 192.

[3] Markose, P. M. (2010). *Coinage and Economy in Late Antique North Africa*. Journal of Numismatic Studies, 45(2), 123-145.

[4] – Ibid, PP. 197-203.

[5] – –شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، ج1، تونس، 1985، ص. 337.

[6] – نفسه، ص. 338.

لم يكن ضـــرب النقود في فترة الوندال أقل جودة مقارنةً بما أنتجته المعامل البيزنطية التي تبعتهم، بل على العكس، فقد شـــكّلت النقود الوندالية دليلًا مهمًا على الأوضـــاع الاجتماعية والاقتصادية في تلك المرحلة التاريخية. يشير المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان (Charles André Julien) إلى أن النقود الوندالية تقدم لنا صـــورتين بارزتين للحياة الاقتصـــادية والاجتماعية في عهد الوندال.

تتميز الفئة الأولى من النقود الوندالية بتشـــابهها الكبير مع النقود الرومانية، حيث تظهر على وجهها إكليلاً يحيط برأس مزين، بينما تحمل اليد درعًا، ما يعكس بقاء التأثير الروماني في التصاميم النقدية رغم تغير السلطة السياسية في المنطق.[1]

أما الفئة الثانية، فتبرز فيها صـــورة امرأة تحمل بيدها ســـنابل القمح، والتي ترمز إلى الرخاء الاقتصادي[2].

[1] Julien, Charles André. *Histoire de l'Afrique du Nord: Des origines à 1830*. Payot, 1955. P 97.

[2] –شارل أندري جوليان، المرجع السابق ، ص. 338.

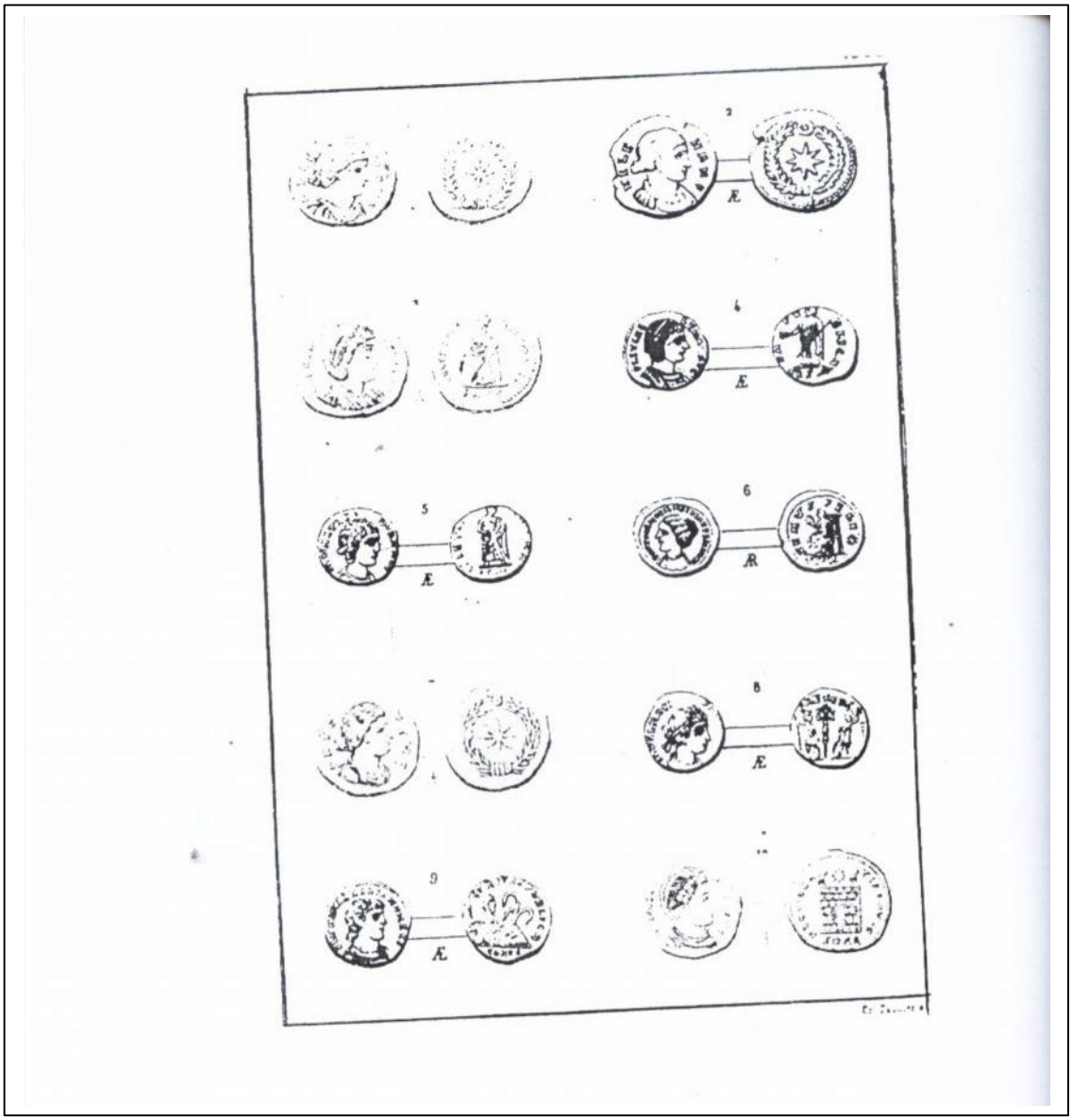

يحدد الصورة رقم :01 بعض العملات النقدية الوندلية المكتشفة ببلاد المغرب القديم، والتي لم مكان اكتشافها، والموجودة حاليا بالمتحف الوطني بالدانمارك

Lettres du Baron Marchant, Sur la Numismatique et l'histoire, amoitie par : المصدر Lemormant (CH.), De Sanley (F.), De la Saussage (L.), De Nitte (J.), Marquis de lagay, De Laongperver (AD.), Maurg Victor Langlois (AL.), et Fournier du Lac (H.), Nouvelle édition, Paris, 1851, P. 171.

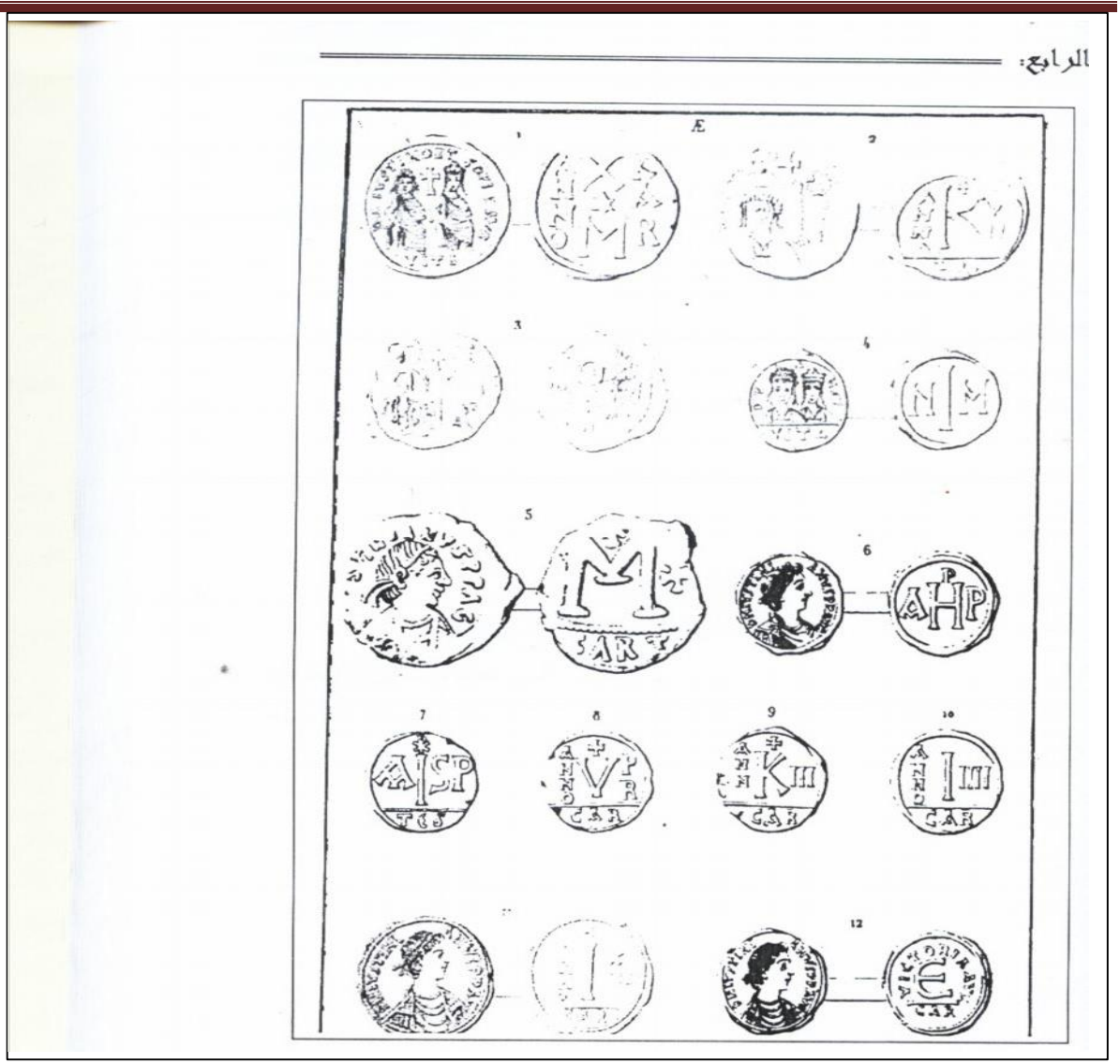

الصورة رقم :02 بعض العملات النقدية الوندلية المكتشفة ببلاد المغرب القديم ، والتي لم يحدد مكان اكتشافها، والموجودة حاليا بالمتحف الوطني بالدانمارك

المصدر: Lettres du Baron Marchant, Sur la Numismatique et l'histoire, amoitie par Lemormant (CH.), De Sanley (F.), De la Saussage (L.), De Nitte (J.), Marquis de lagay, De Laongperver (AD.), Maurg Victor Langlois (AL.), et Fournier du Lac (H.), Nouvelle édition, Paris, 1851, P. 172.

ثانياً – الزراعة:

رغم الصراع الديني العميق الذي شهدته إفريقيا خلال عهد الوندال، حيث مارس الوندال سياسة اضطهاد تجاه الأرثوذكس والكاثوليك على حد سواء، إلا أن هذا التوتر الديني لم يمنع استمرار الحياة الاقتصـــادية والاجتماعية في مناطق عدة من شـــمال إفريقيا. فقد تميزت العلاقة بين الوندال والسكان المحليين بتعقيدٍ واضح، إذ شهدت بعض المناطق استقرارًا نسبيًا رغم النزاعات العقائدية التي أثرت على النسيج الاجتماعي والسياسي للمنطقة [1]، لا يعني ذلك أن شمال إفريقيا عاشت فترة سلام دائمًا خلال عهد الوندال، إذ كانت الصراعات تنفجر بين الحين والآخر، ولا يمكن افتراض أن العلاقات بين الوندال والســكان المحليين كانت دائمًا ودية. فقد شـــهدت تلك الفترة فترات من الاضــطراب والتوتر، خاصــة في المراحل الأخيرة من حكم الوندال، وبخاصــة ابتداءً من عهد الملك هونريك (Henricus) الذي تميز بســياســات أكثر صــرامة وتصــعيدًا للصراعات مع القبائل المحلية والمجتمعات المسيحية .[2]

وعلى الرغم من هذه الاضــطرابات، إلا أن هناك أدلة على وجود فترات من الاســتقرار النســبي التي مكنت بعض المناطق من الحفاظ على نشاطها الاقتصادي والاجتماعي[3].

رغم الخضــوع الذي شــهدته بعض المناطق لشــروط حكم الوندال، تبرز حقيقة أن هناك مناطق واسعة ظلت خارج نطاق نفوذهم المباشر، محتفظةً بأنماط معيشتها التقليدية. بل يمكن القول إن حتى المناطق التي دخلت تحت الســيطرة الوندالية لم تشــهد تغيرًا جذريًا في أســاليب الإنتاج الزراعي والصــناعي. فالنظام الاقتصــادي في تلك المناطق اســتمر في الاعتماد على الأســاليب الرومانية التقليدية في الزراعة، والحرف، والتجارة، ما يشير إلى نوع من الاستمرارية الاقتصادية الاجتماعية رغم التغيرات السياسية .[4]

---

[1] – – Courtois (Ch.), Les Vandales et l'Afrique, Ed . Arts et Métiers graphiques, Paris, 1955, PP. .31

[2] – Treadgold, W. (1997). *A History of the Byzantine State and Society*. Stanford University Press. P 25.

[3] – Ibid, P. 311.

[4] – Kammerer, L. (2015). *Economic Continuity in Vandal North Africa*. Journal of Late Antiquity, 8(2), 215-238.

هذه الاستمرارية توضح أن الحكم الوندالي كان في كثير من الأحيان يعتمد على استغلال البنية التحتية والإدارية القائمة، مع التركيز على اســـتقرار الإنتاج وتوفير الموارد اللازمة، بدلاً من إحداث تغييرات جذرية في هيكل الاقتصاد المحلي[1].

يبدو أن الممتلكات الأرضـية لم تخضـع سـوى لتغييرات طفيفة خلال فترة الوندال، مع اسـتثناء واضـح لإقليم المزاق ومنطقة زغوان الواقعتين في الجهة الغربية الشمالية من تونس الحالية[2]. فقد شـــهدت هذه المناطق تحولات في ملكية الضـــيعات الزراعية التي انتقلت إلى أيدي عائلات الوندال، غير أن هذه العائلات لم تكن تهدف إلى إدارة هذه الأراضـي بشكل مباشـر، بل اكتفت بجمع الضرائب المفروضة على المحاصيل الزراعية. وكانت هذه الضرائب تشكل مصدر دخل مســـتمر يكفيهم للتمتع بحياة الترف والبذخ دون الحاجة إلى الانخراط في العمل الزراعي أو الإدارة المباشرة.

هذا النمط من الاســـتغلال يعكس اســـتمرار هيمنة طبقة النبلاء الوندالیين على الموارد الزراعية، مع إبقاء الفلاحين أو الســـكان المحليين في مواقعهم التقليدية كمنتجين أســـاســـيين. ويُظهر ذلك استقرارًا نسبيًا في هيكل الملكية الزراعية رغم التغيرات السياسية التي طرأت. علاوة على ذلك، نادرًا ما كان المالكون الجدد يشرفون شخصيًا على إدارة الأراضي التي انتقلت إليهم، إذ كانوا يميلون إلى الانشـــغال بشـــؤون الجيش والحكم، متجهين أكثر نحو التحكم الســـياســـي والعسكري بدلاً من الإدارة المباشرة للموارد الزراعية[3].

ويمكننا أن نسـتدل على ذلك بكثير من معاصـر الزيتون التي اسـتمرت في تأدية مهامها، حيث كانت تنتج كميات كبيرة من الزيت الذي كان له دور كبير في الاقتصاد في تلك الفترة.

---

[1] – Ibid, (Loc. Cit.), P. 312.

[2] – Corippus (FIC.), Johannid, trad. Alix (J.), revue Tunisiènne, (1899–1902), P. 317.

[3] – محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، بدون تاريخ، ص 257.

ولهذا، يمكن القول إن الظروف الاقتصـــادية والاجتماعية العامة في البلاد لم تعرف تغييرات جوهرية خلال الفترة الوندالية، حيث استمرت زراعة الأراضـي واستغلالها تحت نفس الأوضـاع القانونية والتنظيمية التي كانت ســـائدة منذ أواخر العهد الروماني. وظل الفلاحون المحليون يمارســون نشـــاطاتهم الزراعية في إطار هذه القوانين، التي ضـــمنت لهم الاســـتقرار القانوني والاجتماعي، مما ساهم في الحفاظ على استمرارية الإنتاج الزراعي دون انقطاع[1].

[1] – Gautier (EF.), Génsric roi des vandales, Paris, 1935, P.7.

تشـكل هذه القطعة نصًـا تاريخيًا وجغرافيًا هامًا يسـلط الضـوء على نتائج وآثار الاسـتيطان الروماني والوندالي في منطقة شمال إفريقيا، وبالأخص في نواحي تبسة. وتتناول هذه النصوص قضايا متعلقة بالأراضي والموضوعات الزراعية والاقتصادية التي كانت حيوية في تلك الحقبة. ويُعزز هذا الطرح من خلال الشـواهد المادية التي تم اكتشـافها في محيط تبسـة، والتي تمثلت بشكل بارز في ألواح ألبرتيني(Tablettes Albertini) ، والتي توثق بوضوح طبيعة العلاقات الزراعية والقانونية والاقتصادية التي سادت المنطقة خلال فترات الحكم الروماني والوندالي.[1]

على الرغم من احتمال تقلص المساحات الزراعية في شمال إفريقيا، خاصة خلال أواخر العهد الوندالي نتيجة الحروب والنزاعات التي شـهدتها المنطقة، اسـتمر إنتاج الحبوب الأسـاسـية مثل القمح والشـعير بمسـتوى كافٍ لتلبية الاحتياجات المحلية. كما حافظت زراعة الزيتون والأشـجار

---

[1] **ألواح ألبيرتيني** هي مجموعة من الوثائق التاريخية التي اكتشـفت في سـنة 1928 في بلدية تبسـة المختلطة خلال العهد الاسـتعماري الفرنسـي. تُسـمى هذه الألواح نسـبةً إلى الباحث ألبيرتيني(Albertini) ، الذي قام بأول دراسـة منهجية لها بعد اكتشـافها. تم العثور على الألواح داخل جرار مقلوبة، حيث كانت أفواه الجرار متجهة نحو الأسـفل وفتحاتها نحو الأعلى، مما دفع الأهالي في البداية إلى تحطيم بعضـها ظنًا منهم أنها كنز ثمين. وبعد اكتشـاف محتواها الذي تبين أنه عبارة عن وثائق كتابية، سلم الأهالي الألواح إلى السلطات الفرنسية عبر مسؤولي بلدية تبسة.

قام ألبيرتيني بدراسة الألواح في سبتمبر 1928، محددًا المعلومات التالية:

1. **مكان الاكتشاف** :تقع نقطة الاكتشاف في تقاطع يبعد حوالي 100 كيلومتر جنوب تبسة، و65 كيلومتر غرب قفطة.
2. **نوع الألواح** :عبارة عن وثائق متعددة تشكل عقود بيع وشراء، تعكس الجوانب القانونية والاقتصادية المتعلقة بالأراضي والزراعة.
3. **الشكل والحجم** :تختلف أشكال الألواح بين مربعة ومستطيلة، مع أطوال تصل إلى 260 ملم وعرض يصل إلى 104 ملم.
4. **نوع الخشب** :صُنعت الألواح من خشب أشجار الصفصاف واللوز، ويُرجح أن هذه الأخشاب قد جُلبت من غابات الأوراس.
5. **مادة الكتابة** :استُخدم حبر ذو لون أسود مائل إلى البني، مصنوع من الصوف المحروق أو من مادة الخروب اليابس.

تعد هذه الألواح من الشواهد المادية المهمة التي توفر لنا نظرة معمقة على طبيعة المعاملات الزراعية والقانونية والاقتصادية في شمال إفريقيا خلال الفترتين الرومانية والوندالية، مما يعزز فهمنا للتاريخ الاجتماعي والاقتصادي للمنطقة.

. لمزيد من المعلومات أنظر:

: - Albertini (E), Tablettes D' Albertini, Actes privés de l'époque vandale, Arts et métiers graphiques, Paris, 1952, PP. 3-10.

المثمرة كالكروم، التين، واللوز على مكانتها الاقتصادية الهامة، إضافة إلى تربية المواشي التي لعبت دورًا بارزًا، وخصوصًا تربية الخيول التي كانت ضرورية للأغراض الحربية ونقل الرسائل والمواصلات.[1]

بعد الاستيلاء على مدينة قرطاجة، شرع الملك جنسريق في إعادة تنظيم توزيع الأراضي، حيث قسمها إلى ثلاث فئات رئيسية[2] :

أولًا: ممتلكات العائلات النبيلة والثرية التي نُقلت إلى أبنائه هنريك وجنسون، مما يعكس استمرار الهيمنة الاجتماعية والاقتصادية لهذه الطبقة.

ثانيًا: أراضي المزاق ومنطقة زغوان التي وُزعت على الجنود الوندال كمكافأة على خدماتهم العسكرية[3]، وهو ما يؤكد على الترابط بين السلطة العسكرية والملكية العقارية في تلك الحقبة.

ثالثًا: كانت هناك أراض أخرى شملت ممتلكات عامة وأراضي خاصة للسكان المحليين، التي ظلت تخضع إلى إدارة متغيرة تبعًا للظروف السياسية والعسكرية[4].

هذا التقسيم للأراضي يعكس سياسة استيطان وتحكم قائمة على توزيع الموارد بشكل يضمن الولاء العسكري واستقرار الحكم الوندالي، كما تدل عليه الوثائق الأثرية والتاريخية المتعلقة بالفترة.

الجزء المتبقي المتمثل في الأراضي الأقل خصوبة فقد ترك لأصحابه أن يلتزموا بدفع الضرائب .[5]

فيما يتعلق بالأراضي التي كانت تحت سيطرة الجنود الرومان، وخاصة المتقاعدين منهم، فقد أُتيحت لهم خياران: إما العمل كعبيد أو مستخدمين على الأراضي التي انتقلت ملكيتها إلى

---

[1] – - Courtois (Ch.), Les Vandales et l'Afrique, Ed . Arts et Métiers graphiques, Paris, 1955, PP.317

[2] – محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص ص. 257- 258.

[3] – Mercier, Histoire de l'Afrique septentrionale, Trad. Paris, 1888, P. 147.

[4] Michael Brett & Elizabeth Fentress, *The Berbers*, 1996; H.M. Gillett, *The Vandals*, 1974, p 89.

[5] - Mercier, Op. Cit., P. 147.

الوندال، أو الهجرة إلى ولايات أخرى ما تزال تحت سيادة الإمبراطورية الرومانية الشرقية. نظرًا لصعوبة قبول الوضع الجديد ورفضهم الاستسلام لوضعية شبه العبودية، اضطرّ معظم هؤلاء الجنود المتقاعدين إلى مغادرة الأراضي التي استولى عليها الوندال، متجهين نحو المناطق الإمبراطورية الأخرى، مثل ولايات شمال إيطاليا وشرق البحر المتوسط[1] .

هذا النزوح شكل تحولات ديموغرافية واجتماعية مهمة، وأدى إلى تقليص عدد الجنود والرعايا ذوي الأصول الرومانية في شمال إفريقيا، مما ساهم في تعزيز هيمنة الوندال وتقوية بنيتهم العسكرية والإدارية على حساب الطبقة الرومانية القديمة.

أما فيما يخص الضرائب، فقد كانت مفروضة على كل الأراضي سواء تلك التي كانت بين أيدي الرومان أو الأهالي، ولم يعف منها سوى التي كانت بيد الوندال.[2] وقد اتفق أغلب المؤرخين على أن تلك الضرائب كانت أخف مما كانت عليه في أواخر عهد الإمبراطورية الرومانية[3]

كانت ملكية الأراضي في عهد الوندال تتسم بالطابع الجماعي، حيث كانت الأسر تتوارث الأراضي بشكل مشترك. ومع ذلك، فإن غياب الخبرة الفلاحية لدى العائلات الوندالية الجديدة التي استحوذت على هذه الأراضي أدى إلى تحول طبيعة استغلالها.

" كانت ملكية الأراضي في عهد الوندال تتسم بالطابع الجماعي، حيث كانت الأسر تتوارث الأراضي بشكل مشترك. ومع ذلك، فإن غياب الخبرة الفلاحية لدى العائلات الوندالية الجديدة التي استحوذت على هذه الأراضي أدى إلى تحول طبيعة استغلالها.

" رغم تحول الملكية إلى عائلات الوندال، إلا أن هؤلاء الملاك كانوا يقتصرون على تحصيل الضرائب من المحاصيل الزراعية دون الإشراف المباشر على الأرض، حيث انصرفوا

[1] - Crousset (R.), et Leonard (E.G.), Histoire universelle des origines à l'islam, T.1, Gallimard, 1956, PP. 1294-1295.
[2] - Ibid, P. 1295.
[3] - Yanoki, Op.Cit, P. 82; Mouloud Gaid, Op.Cit, P. 136; Marcurs Louis, Histoire des randales depuis leur première apparition jusqu'à la destruction de l'empire de l'occident, Paris, Hachette, 1907, PP. 174-179.

إلى مهامهم العسكرية والإدارية. في المقابل، استمر الفلاحون القدامى الذين استقروا في هذه الأراضي بممارسة النشاط الزراعي وكأنهم المالكون الحقيقيون للأرض".

هذا النموذج يبرز استمرار دور الفلاحين المحليين في العملية الإنتاجية، بالرغم من التغيرات السياسية والطبقية، ويعكس درجة من الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي في المناطق الريفية خلال تلك الحقبة، حيث حافظ النظام الزراعي على استمراريته من خلال التعامل غير المباشر للطبقة الحاكمة مع الموارد الزراعية[1].

لهذا، يرى الباحث غوتييه أنَّ رغم استيلاء الوندال على الأراضي واستقرارهم فيها، فإنهم لم ينهوا أو يقضوا بشكل جذري على الأرستقراطية الزراعية الرومانية التي كانت قائمة آنذاك. فهذه الطبقة الأرستقراطية، التي تمثل النخبة المالكة للأراضي الزراعية، استمرت في ممارسة تأثيرها الاقتصادي والاجتماعي، بل وحافظت إلى حد كبير على مواقعها ومصالحها، بالرغم من التغيرات السياسية العميقة التي طرأت على المنطقة.

ويعزو غوتييه هذا الاستمرارية إلى عدة عوامل من بينها:

- **نقص الخبرة الفلاحية** لدى الوندال الذين اقتصر اهتمامهم على الإدارة العسكرية والحكم، مما دفعهم للاعتماد على الفلاحين والرومان القدامى لإدارة الأرض وزراعتها.
- **النظام القانوني والتنظيمي** الذي ظل يحمي حقوق الملكية ويعزز من استقرار العلاقة بين الفلاحين وأصحاب الأراضي.

وبذلك، لم يتغير هيكل ملكية الأراضي بشكل جذري، وظلت الطبقة الأرستقراطية الرومانية الزراعية تلعب دوراً مركزياً في المشهد الاقتصادي والاجتماعي لشمال إفريقيا خلال فترة الوندال[2].

[1] - Gautier (E.F), Op.Cit ; PP. 203-204.

[2] (انظر: Jacques Gauthier, *La société rurale en Afrique du Nord à l'époque vandale*, 1985, p 77.

ثالثا: النشاط الحرفي

تميز العهد الوندالي في مرحلته الأولى بتراجع واضح في مستوى الصناعة التقليدية، وهو ما تؤكده المعطيات الأثرية المستخرجة من المواقع المختلفة في شمال إفريقيا. فقد أظهرت هذه الأدلة انخفاضاً في الإنتاجية وجودة المنتجات الحرفية مقارنة بالعصور السابقة، مما يعكس ضعفاً عاماً في النشاط الصناعي خلال هذه الفترة.

ومع ذلك، لم تكن التداعيات سلبية بشكل مطلق في المجال الصناعي الحرفي، حيث استمرت العديد من الورشات الحرفية في نشاطها، وحققت إنتاجاً ملحوظاً في عدد من المنتجات، مما يدل على وجود استمرارية نسبية في بعض القطاعات الصناعية، رغم التحديات السياسية والاقتصادية التي شهدتها المنطقة.

وقد يرجع هذا الاستقرار الجزئي إلى قدرة الحرفيين المحليين على التكيف مع الظروف الجديدة، بالإضافة إلى استمرار الطلب على بعض المنتجات الأساسية التي كانت تلبي حاجات السكان المحليين والإدارات الحاكمة على حد سواء[1]، رغم الأثر السلبي الذي خلفته القرصنة الوندالية في حوض البحر الأبيض المتوسط، والتي أدت إلى إغلاق العديد من الأسواق التجارية، إلا أن الحرف عادت إلى نشاطها السابق مع بداية عهد هونريك، حيث تم إعادة تنشيط العلاقات التجارية بشكل ملحوظ.

ومع ذلك، فإن المعلومات المتوفرة حول النشاط الحرفي في تلك الفترة تظل محدودة، ولا نستطيع سوى الاعتماد على الاستنتاجات التي قدمها الباحثان كورتوا ويانوسكي. فبحسبهما، لم يقم الوندال بتدمير الصناعة التي أسسها الرومان والفينيقيون قبلهم، بل حافظوا على استمراريتها.

وبعد استعادة العلاقات التجارية الخارجية في عهد هونريك، انغمس ملوك الوندال في حياة البذخ والترف، حيث كانت الأدوات والمواد المستخدمة في ملابسهم وأثاثهم من منتجات محلية، تشمل

[1] -خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص. 219.

الأقمشــة الحريرية، والقطع المصــنوعة من الخشــب، الطين، والحديد. هذا الأمر يتوافق مع ما تشير إليه أغلبية النصوص المعاصرة، كما يؤكد يانوسكي في دراساته.

أما بالنسبة للحلي الذهبية المستخدمة، فيعتقد أنها لم تكن صناعة محلية، رغم استمرار استغلال المناجم في شمال إفريقيا من قبل الوندال، إلا أن الدارس يجهل الأدوات التي كانت تُصنع منها، ما إذا كانت برونزية أو فضية[1].

أما فيما يخص أهم المنتجات الصناعية في العهد الوندالي، فقد تمثلت بشكل رئيسي في الصناعة النسيجية، لا سيما صناعة الحرير، بالإضافة إلى صناعة الأثاث. كما برزت صناعة العربات التي كانت تُستخدم للنزهة، والتي انتشرت بشكل خاص في المدن الهامة مثل قرطاج وهيبون[2]، مما يعكس مستوى متقدماً من الحرفية والتطور الصناعي في تلك الفترة، أما فيما يخص أهم المنتجات الصناعية في العهد الوندالي، فقد تمثلت بشكل رئيسي في الصناعة النسيجية، لا سيما صناعة الحرير، بالإضافة إلى صناعة الأثاث. كما برزت صناعة العربات التي كانت تُستخدم للنزهة، والتي انتشرت بشكل خاص في المدن الهامة مثل قرطاج وهيبون. إلى جانب ذلك، تميزت المناطق الساحلية، وخاصة قرطاج، بوجود مصانع متخصصة في صناعة الأسلحة وعتاد السفن، مما يعكس الأهمية الاستراتيجية لهذه المناطق في المجالات العسكرية والبحرية.[3]

أما فيما يخص الفخار، فقد وصلت ورشات الإنتاج إلى مستوى جيد في صناعة مختلف المنتجات الفخارية، مثل الجرار والقناديل، التي كانت تستخدم في الحياة اليومية لتخزين المياه والزيوت وغيرها من المواد. هذه المنتجات كانت تنتج محليًا وتعكس مهارات الحرفيين الوندال في هذا المجال.[4]

---

[1] - Courtois (Ch.), Op. Cit., P. 316.

[2] -نفسه.

[3] - Procopius, Guerres des vandales, Trad. Dureau de la Malle dans l'Algériens ou manuel Algérien, éd. Fermin Didot, Paris, 1852,.14

[4] - خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص. 219.

رابعًا- التجارة:

تتجمع العديد من المعطيات المادية والكتابية لتشكل دليلاً قاطعًا على وجود حركة تجارية نشطة في الفترة الوندالية، سواء على الصعيد الداخلي بين الوندال والأهالي، أو بين الأهالي أنفسهم، وكذلك على الصعيد الخارجي مع بلدان أوروبا وآسيا ومصر. ومن أبرز هذه المؤشرات:

1- ألواح ألبرتيني، التي تكشف لنا عن نشاطات مثل تجارة العبيد وعمليات بيع الأراضي، وسنقدم نماذج منها لاحقًا.

2- كتابات بروكوب عن التجار الذين صاحبوهم في سرقسطة[1]، وما روي له عن الصفقات التي عقدها في قرطاج.[2]

3- عند نزول القوة البيزنطية على سواحل قرطاج بقيادة رئيس الحملة جوستنيان الذي يدعى القائد بيليساريوس، إنه وجد سفينة في المرسى انطلقت باتجاه إسبانيا بعد أن امتلأت بالسلع.[3]

4- كان الرجال الذين وضعهم الملك الوندالي جليمير في السجن، قد جاءوا من الشرق لأغراض تجارية.[4]

- التجارة الأفريقية في الموانئ الشرقية، حيث قام الأفارقة بعقد العديد من الصفقات التجارية مع الشعوب الألمانية في أقصى الشمال، مرورًا بفرنسا وإيطاليا.
- طرق التجارة المختلفة: لم تكن التجارة مقتصرة على البحر فقط، بل كانت هناك علاقات تجارية واسعة عبر الطرق الصحراوية، بالإضافة إلى الطريق الشرقي الذي ربط المغرب القديم بالهند مرورًا بمصر.

---

[1] تأسست سرقسطة عام 733 ق.م على يد الإغريق، وتقع في جزيرة صقلية على الساحل الجنوبي الشرقي منها. وصفها الفيلسوف الروماني شيشرون بأنها أعظم وأجمل المدن اليونانية على الإطلاق. كما صنفت منظمة اليونسكو مدينة سرقسطة ضمن مواقع التراث العالمي، لما تحويه من آثار تاريخية وثقافية هامة. تم الاطلاع عليه: 2025/04/01 على الساعة 09:15 من الموقع:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D8%B1%D9%82%D8%B3%D8%B7%D8%A9 .

[2] - Yanosky (J.), Op. Cit., P. 89.

[3] - - Procopius chéron , 1339 dans M.G.H.A.A, C.9, P. 477. 14.

[4] - محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص. 259.

- التجارة الداخلية في صـــعيد مصـــر: رغم قلة المعلومات، توجد أدلة على حركة تجارية نشطة على طول شوارع قرطاج، حيث كان التجار يعرضون بضائعهم على الفلاحين.
- آلية التبادل التجاري: تمّت عمليات التبادل التجاري غالبًا باستخدام القطع الفضية، رغم وجود قطع ذهبية في المغرب القديم، إلا أنها لم تكن منتشـرة على نطاق واسـع. وكانت الأسعار منخفضة نسبيًا في العهد الوندالي، مع ضعف عام في التجارة الداخلية.
- المنتجات المتبادلة بين الوندال وغيرهم شـــملت المنتجات الزراعية مثل القمح وبعض الأشـــجار المثمرة كالتيّن والعنب، إضـــافة إلى الحيوانات الأليفة كالماعز والدجاج والأحصـــنة، والتي كانت تربى بنطاق محدود، رغم أن الوندال كانوا في بداياتهم فرســانًا مهرة.

النص الأصلي باللاتينية:

TABLETTE 2b. (Pl.. II)

anno decimo dom(ini) reg(is) ginttqbundi sub die nonqs isuniqs bendedimus donatianus uictoris et saturninus cibes cappra- rianensium puerum unum nomine fortinis coloris candidum annorum circiter plus minus sex non erroneum neque malis m- oribus costitutum neque caducum quem ab eis emit felix fortu- tuni cibis tuletianensis auri solidum unum et fol(les) septingentos au- reos obbrediacos ponderi plenos numero semis quod solidu- m unum et fol(les) septingentos s(upra)s(cri)pp(ti)donatianus et sturninus ben- ditores in se susceperunt presentibus suscribturis et secum sus- tulerunt nicil quesibimus ex edem pretio quiquam amplius de- ueri respondiderunt a pridie quam benderent abuerunt possederunt iu[risque eorum fuerunt et ex] hac [die in nomine] geminius felix [[1]

الترجمة:

عقد بيع قطعة أرض وحقل من الطين سنة 493م

[1] -Tablettes Albertini , actes privés de l'épppoque Vandale, (fin du Ve siécle), éd, arts et mitiers graphiques, Paris, 1952, P.217.

في الســـنة العاشـــرة من حكم الملك جينتقبندي، في اليوم التاســـع من يونيو، قام دوناتيانوس وفيكتوري وساتورنينوس، أبناء قبيلة كابرا ريانينسوم، ببيع ولد واحد اسمه فورتينيس، لونه أبيض، عمره حوالي ست سنوات تقريباً، سليم من العيوب والآفات، لم يكن مريضاً ولا عرجاء، اشتروه منهم، كما دفعوا لهم ذهباً صلباً واحداً وعدداً من العملة الإفريقية (700 عملة) بوزن معين.

وقد قبل دوناتيانوس وساتورنينوس هؤلاء البائعين بهذه الصفقة، وحضر الشهود الموقعون على العقد، وأخذوا المبلغ معهم، ولم نطلب منهم أي شيء أكثر من هذا السعر، ولم يعترضوا عليه، وكان لهم الحق في ذلك.

منذ هذا اليوم، وباسم جيمينيوس فيليكس، ...

شرح مختصر للنص العربي المرفق:

هذا النص هو عبارة عن عقد بيع قطعة أرض وحقل طيني تعود إلى سنة 493 ميلادي.

- تم بيع حقل من الطين للنقد الإفريقي بين السيد مارينو كوانتيوس جنتيس دوبير وجاره.
- هذا الحقل يقع بمحاذاة الطريق وهو مزروع بمحاذي للسقي، بالإضافة إلى قطعة أرض مائلة.
- تم بيع حقل آخر في مكان شرقي للسيد بولتيس، ويحتوي على خمسة أشجار زيتون، وتم بيعه بالعملة الإفريقية.
- إضافة إلى حقل آخر بيع للسيد فيكتورينيس نانغرايليست مع خمسة أشجار زيتون.
- كما تم بيع حقول بالجهة الوسطى والجنوبية للمالكين فيكتورينيس وباترنس.

TABLETTE 4a. (PL. IV)

النص الأصلي (باللاتينية مع بعض الكلمات المقطوعة):

magula a meridie et a marino quintus a coro I[atere-] tis et bergentisque suis it(em) alio in loco s(upra)s(cri)p(to) fici arbor u[na] qui coheret ad bia de buresa ab africo cum latereti s et aquaris bergentisque suis it(em) alio in loco locus qui dicitur pullatis in quo sunt olibe arb(ores) cinq [ue inter] adfines eiusdem loci ab oriente quintianus a meridie quintianus ab africo et a coro uictorinus nug[ualis] it(em) alio in loco in pullatis locus abiente olibe arb(ores) cin- que inter adfines eiusdem loci ab oriente

processa- nus a meridie uictorinus ab occidente paternus [ia] deris a coro iannarius ques eosdem agros ss(u)p(ra)scri(ptos) de quo agitur hac die emerut geminius cresco- nius et cresconia iugalis eius a iulio leporio et co[ia] iugalis eius et etiam silbanianus et uictorinus auri solidum unum et f(ol)l(e)s [aur]e[os] obrediacos[1].

الترجمة إلى العربية:

عقد بيع عبد شاب بتاريخ 5 جوان 494م

في السنة الثانية لحكم الملك جونتاموند، وفي شهر جوان، قمنا نحن دوناتيأنوس (Donatianus)ابن فكتور (Pictor) وساتورنين (Saturnin) وفكتور (Victor) ونحن من قبيلة كبربانو نوس (Capprianensus) ببيع عبد شاب يدعى فورتينيس (Fortinis) أبيض البشرة يبلغ من العمر ست سنوات، وهو ليس مشرداً ولا يتيمًا، ولا يحمل أي علامات بدئية، كما أنه غير مريض ويتمتع بصحة جيدة.

اشترى هذا العبد فيليكس (Felix) ابن فورتون(Fortuna) ، وهو مواطن من قبيلة طولاد (Tolede)، مقابل 70 قرشًا من البرونز.

شرح إضافي حول القطع والأماكن:

- العقود تذكر قطع أراضٍ وأشجار زيتون، مثل:
  - مكان اسمه "Pullatis" يحتوي على خمسة أشجار زيتون.
  - أماكن أخرى فيها أراضٍ وأشجار مرتبطة بملّاك وأشخاص مثل Quintianus و Victorinus.
- تم تسجيل البيع بأشكال معدنية (ذهب وبرونز) وتوثيقه رسميًا بين الأطراف.

[1] -Tablettes Albertini , op.cte, P.218.

لقد تم استلام النقود من الباعة وأخذوها في جيوبهم أمام الحاضرين، كما أنهم لم يعترضوا على أي شيء.

2. التجارة الخارجية:

أ- الصادرات:

تكشف الدلائل القديمة أن السفن التجارية التي كانت تغادر من إفريقيا عادةً ما كانت تحمل شحنات متنوعة تشمل القمح، الصوف، الكتان، الملح، الزرابي، والأخشاب المخصصة لصناعة الأثاث الفاخر. بالإضافة إلى ذلك، كان يتم تصدير الرخام ذو الجودة العالية، والمرمر، والأحجار الكريمة. كما كانت تصدر كميات من الطين الذي كان صالحًا وبجودة ممتازة لصناعة الفخار، مما جعله مادة مفضلة في هذا المجال الصناعي.[1]

ولم تقتصر التجارة على تلك الأنواع من المنتجات والمواد الخام فقط، بل شملت أيضًا تجارة العبيد، وإن كانت لم تكن بنفس الحجم أو النظام الذي عرفته في العهدين الفينيقي والروماني. كما كانت مدينة قرطاجة تصدر كميات كبيرة من الأسلحة مثل السيوف والدروع، إضافة إلى بعض الملابس العسكرية، مما يعكس دورها الصناعي والعسكري في المنطقة[2].

ب- الواردات:

أما الواردات فكانت قليلة جدًا، وذلك لأن الأرض في تلك الفترة وبفضل خصوبتها وإنتاجها كانت تلبي حاجيات السكان بشكل كافٍ. كما أن أهم الوسائل والأواني الضرورية للحياة اليومية كانت تُصنع محليًا بواسطة السكان أنفسهم، مما قلل الحاجة للاعتماد على المنتجات المستوردة[3].

إذاً، فالتجارة الخارجية كانت تعتمد بالدرجة الأولى على عملية التصدير.

[1] – Procopius, B.V., II. 3.

[2] – Marcus, Op. Cit., P. 212.

[3] – Papen Cordt, Le commerce de l'Afrique au temps des vandales, P. 259.

نستخلص مما سبق أن هدف الوندال كان في المقام الأول سياسيًا وعسكريًا خلال غزوهم لشمال إفريقيا، إذ لم يكن الجانب الاقتصادي من أولوياتهم في البداية، خاصة مع انتقالهم

خلاصة الفصل:

من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار. ومع ذلك، فإن انتعاش الوضع الاقتصادي دفعهم لاحقًا إلى الاهتمام بعدة قضايا اقتصادية مهمة، يمكن تلخيص أبرزها في النقاط التالية:

- رغم تداول العملة الرومانية في شمال إفريقيا، إلا أن الوندال ضربوا سكة نقدية جديدة تعكس وجودهم السياسي ودورهم الاقتصادي في المنطقة.
- لم تطرأ على الظروف والمعاملات الزراعية إلا تغييرات طفيفة اقتصرت على انتقال ملكية الأراضي من الرومان إلى الوندال، حيث كانت ملكية الأراضي عند الوندال جماعية وتنتقل داخل الأسر.
- بقيت أراضي الأوراس وأراضي الموريتانيين السطيفية والطنجية خارج نطاق السيطرة الوندالية، مما أدى إلى انتعاش اقتصادي ملموس لدى سكان تلك المناطق.
- ازدهرت الحرف المحلية، حيث وصلت الورشات إلى مستوى متقدم في إنتاج القماش والحرير، بالإضافة إلى المنتجات الخشبية والطينية والحديدية.
- تؤكد الشواهد المادية والأدبية وجود حركة تجارية نشطة، سواء على الصعيد الداخلي بين سكان المنطقة، أو على الصعيد الخارجي مع بلدان أخرى.

الخاتمة

الخاتمة:

يتضح أن الفترة الوندالية في شمال إفريقيا (429م – 534م) شكّلت مرحلة مفصلية من تاريخ المنطقة، اتسمت بتحولات عميقة في البنية السياسية والاقتصادية، كان لها تأثير بالغ في زعزعة النظام الروماني السابق وفتح المجال لتحولات لاحقة مع قدوم البيزنطيين ثم الفتح الإسلامي. فقد مثل الاحتلال الوندالي نموذجًا لحكم يقوم على القوة العسكرية والتمييز العرقي والديني، مما أدى إلى غياب الاستقرار، وتعميق الانقسامات بين مكونات المجتمع المحلي، من أمازيغ ورومان، وخلق حالة من العزلة بين السلطة والقاعدة الشعبية.

على الصعيد السياسي، اتّسم الحكم الوندالي بالإقصاء والعنف الرمزي والمادي، خصوصًا في علاقته بالكنيسة الكاثوليكية وبالسكان غير الوندالبين، وهو ما ساهم في تقويض شرعية السلطة وتغذية النزاعات الداخلية. أما من الناحية الاقتصادية، فقد تباينت الأوضاع من منطقة إلى أخرى، حيث حافظت بعض الأقاليم على نشاطها الزراعي والتجاري، في حين عانت مناطق أخرى من التهميش والانهيار نتيجة سوء التسيير وعدم الاستقرار الأمني.

لقد أظهرت هذه التجربة أن القوة العسكرية وحدها غير كافية لبناء دولة مستقرة، إذا لم ترافقها سياسات احتواء وتكامل بين مختلف مكونات المجتمع، واحترام الخصوصيات الثقافية والدينية والاقتصادية. كما أبرزت هشاشة الكيانات السياسية التي تقوم على التمييز والتهميش، وسرعة انهيارها في ظل غياب الدعم الشعبي والشرعية المؤسساتية.

وبذلك، فإن دراسة العهد الوندالي لا تقدم فقط فهمًا لتاريخ شمال إفريقيا في فترة انتقالية، بل تفتح المجال أيضًا لتأملات أعمق في طبيعة السلطة، ومحددات الاستقرار السياسي، وأسس التنمية الاقتصادية، مما يجعل هذه المرحلة التاريخية ذات دلالة تتجاوز إطارها الزمني والجغرافي المحدود.

وقد تميز النظام السياسي الوندالي بطبيعته الإقصائية والعرقية، حيث احتكرت النخبة الوندالية السلطة والثروة، وأقصت السكان المحليين من الأمازيغ عن المناصب العليا ومراكز القرار. كما عمّقت الانقسامات الدينية من حدة هذا الإقصاء، إذ اعتنق الوندال المذهب الأريوسي، الذي يُعتبر هرطقة في نظر الكنيسة الكاثوليكية الرسمية وفرضوا هذا المذهب على السكان المحليين بالقوة، ما أدى إلى اضطهاد واسع للكنيسة الكاثوليكية، نُفي خلاله الأساقفة وأُغلقت الأديرة وصودرت أملاك الكنيسة مما أثار سخطًا شعبيًا عارمًا، ووسّع الفجوة بين الحاكم والمحكوم.

أما من الناحية الاقتصادية، فقد كان التأثير الوندالي متباينًا باختلاف المناطق. فبعض الأقاليم، خاصة تلك القريبة من قرطاج والواقعة تحت السيطرة المباشرة للوندال، استطاعت الحفاظ على مستوى معين من النشاط الاقتصادي والزراعي، بفضل استقرار نسبي فرضه الحكم الجديد واستمرار بعض الأنماط الرومانية في الإنتاج والتجارة، لا سيما في تصدير الحبوب والزيت إلى أوروبا. غير أن مناطق أخرى عانت من الانهيار الاقتصادي نتيجة الاضطرابات الأمنية الناتجة عن هجمات القبائل المورية، أو نتيجة عزوف الوندال عن تطوير البنية الاقتصادية خارج نطاق سلطتهم المباشرة. وقد أدى ذلك إلى تفاوت صارخ بين مناطق مزدهرة وأخرى منكوبة، وخلق حالة من الاختلال في التنمية وعدم التوازن في توزيع الموارد.

إن هذه الصورة المعقدة والمتشابكة للحكم الوندالي والتي جمعت بين السيطرة العسكرية والانقسامات العرقية والمذهبية وبين التفاوت الاقتصادي والانقسام الجغرافي، جعلت المملكة الوندالية عرضة للهزات والصراعات الداخلية وفاقدة للحاضنة الشعبية التي تحميها وعندما أطلقت الإمبراطورية البيزنطية حملتها العسكرية بقيادة القائد بليزيريوس سنة 533م، لم تجد مقاومة تذكر من السكان المحليين الذين اعتبروا البيزنطيين بديلاً أقل سوءًا من الحكم الوندالي، فانهارت المملكة سريعًا في سنة 534م، بعد قرن واحد تقريبًا من تأسيسها، وانتهى بذلك فصل مهم من تاريخ شمال إفريقيا القديم.

وتكمن أهمية دراسة هذه المرحلة من تاريخ شمال إفريقيا في أنها تمثل نموذجًا صارخًا للتحول من الإمبراطورية إلى الكيانات الجرمانية ومن وحدة سياسية إلى انقسامات جغرافية وثقافية، ومن التعددية الدينية إلى سياسات القمع الطائفي. كما تقدم هذه الفترة درسًا مهمًا في علاقة الاستقرار السياسي بالتنمية الاقتصادية وفي هشاشة الحكم القائم على التمييز ورفض التعدد، وهي مواضيع لا تزال تجد صداها في دراسات التاريخ والتحليل السياسي إلى يومنا هذا.

قائمة البيبليوغرافيا

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب العربية

1. **ابن خلدون،** تاريخ العبر، مج 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1966.
2. **التازي،** الإلمام بخلاصة تاريخ أرض المغارب، دار الرباط، الرباط، 2006.
3. **الزاوي، عبد السلام،** تاريخ شمال إفريقيا في العصور القديمة والوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005.
4. **سيد أحمد علي الناصري،** تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط 3، القاهرة، 1998.
5. **شارل أندري جوليان،** تاريخ إفريقيا الشمالية، تر. محمد غزالي والبشير بن سلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2011.
6. **طويل، عماد،** الهجرات البشرية الوافدة إلى بلاد المغرب القديم، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية، م 8، ع 2، 2023 (مصنفة خطأً ككتاب؛ تعد مقالاً).
7. **عمران بن الحميد،** الحركة الدوناتية بين الانشقاق الديني والتحرر، ماجستير، جامعة قسنطينة، 2005/2004 (أطروحة).
8. **محمد البشير شنيتي،** التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، الجزائر، 1984.

الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج 2، الجزائر، بدون تاريخ.

9. **محمد الهادي حارش،**

التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، بدون تاريخ.

التاريخ المغاربي القديم السيادي والحضاري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، بدون تاريخ (تكرار للمرجع السابق).

10. **محمد سعيد عماد،** مملكة الوندال في شمال إفريقيا، دار المعارف، بدون مكان، 1985.

11. **نهاد خياطة،** الفرق والمذاهب المسيحية، دار الأوائل، دمشق، 2002.

ثانياً: الأطروحات الجامعية

1. **العود، محمد الصالح،** التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية، ماجستير، جامعة منتوري–قسنطينة، 2010/2009.

2. **يوسف عيش،** الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي، دكتوراه، جامعة منتوري–قسنطينة، 2007/2006.

ثالثاً: المقالات والدوريات

1. **خليفة الشاطر وآخرون،** "تونس عبر التاريخ"، ج 1، تونس، 2007 (كتاب).

2. **سعد الله، أبو القاسم،** تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 (كتاب).

3. **كريم مناصر،** "قراءة في المصادر الأدبية المحلية حول الاحتلال الوندالي"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، م 10، ع 2، 2022.

4. **محمد الصغير غانم،** ثورة الريفيين الأوراسيين ضد الاستعمار الروماني"، مجلة التراث، ع 13، الجزائر، 2005.

بعض ملامح ثورات التحرير (ثورة تاكفاريناس)"، حولية المؤرخ الجزائري، ع 1، 2003.

5. **محمد البشير شنيتي،** "الدوناتية وثورة الريفيين"، مجلة الأصالة، ع 60، 1980.

6. **محمد حشلاف وويزة ايت عمارة،** "تراجع الرومان وانتزاع الوندال لإفريقيا"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات، م 19، ع 1، 2023.

7. **ويزة ايت عمارة،** "التجارة ومواردها في إفريقيا الوندالية"، عصور الجديدة، ع 16، 2015.

رابعاً: المراجع الأجنبية (كتب ومقالات)

الكتب:

1. **Bury, J.B.**, History of the Later Roman Empire, Dover Publications, 2001.
2. **Camps Fabrer, H.**, L'olivier et l'huile dans l'Afrique romaine, IMP. Officiel, Alger, 1953.
3. **Courtois, Ch.**, Les Vandales et l'Afrique, Arts et Métiers graphiques, Paris, 1955.
4. **Gautier, E.F.**, Genséric roi des vandales, Paris, 1935.
5. **Gibbon, Edward**, The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, Vol. IV, Penguin, 1995.
6. **Julien, Charles-André**, Histoire de l'Afrique du Nord, Payot, Paris, 1955.
7. **Petit, P.**, Histoire générale de l'empire romain, Vol. 3, Éd. Du Seuil, Paris, 1978.
8. **Picard, G.**, La civilisation de l'Afrique Romaine, Paris, 1959.
9. **Procopius**, Guerres des vandales, Trad. Dureau de la Malle, Paris, 1852.

المقالات والأبحاث:

1. **Albertini, E.**, "Tablettes D'Albertini, Actes privés de l'époque vandale", Arts et métiers graphiques, Paris, 1952.
2. **Benabou, M.**, "Le témoignage de Tacite", Antiquités Africaines, T. 6, 1972.
3. **Lecoq, A.**, "Le commence de l'Afrique romaine", T. 12, 1932.
4. **Yanoski, J.M.**, Histoire de la domination des Vandales en Afrique, Furmin Didot, Paris, 1844.

الملاحق

أنظر إلى الملحق

الخريطة رقم : 02 الوندال في أوروبا سنة 406 م

المصدر: Courtois (Ch.), op.cit, P.30.

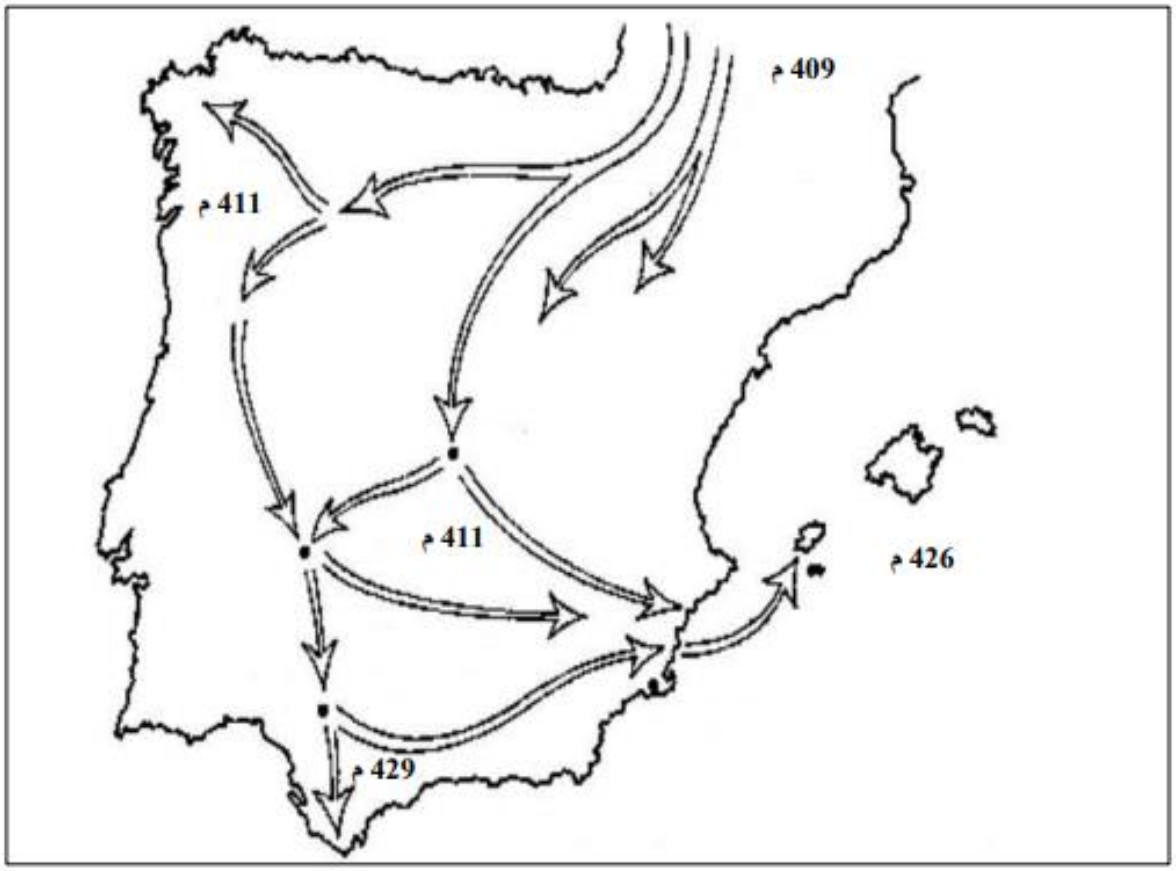

الشخريطة رقم : 03 التواجد الوندالي في إسبانيا 409 ــ 429 م

المصدر: انجاز خاص.

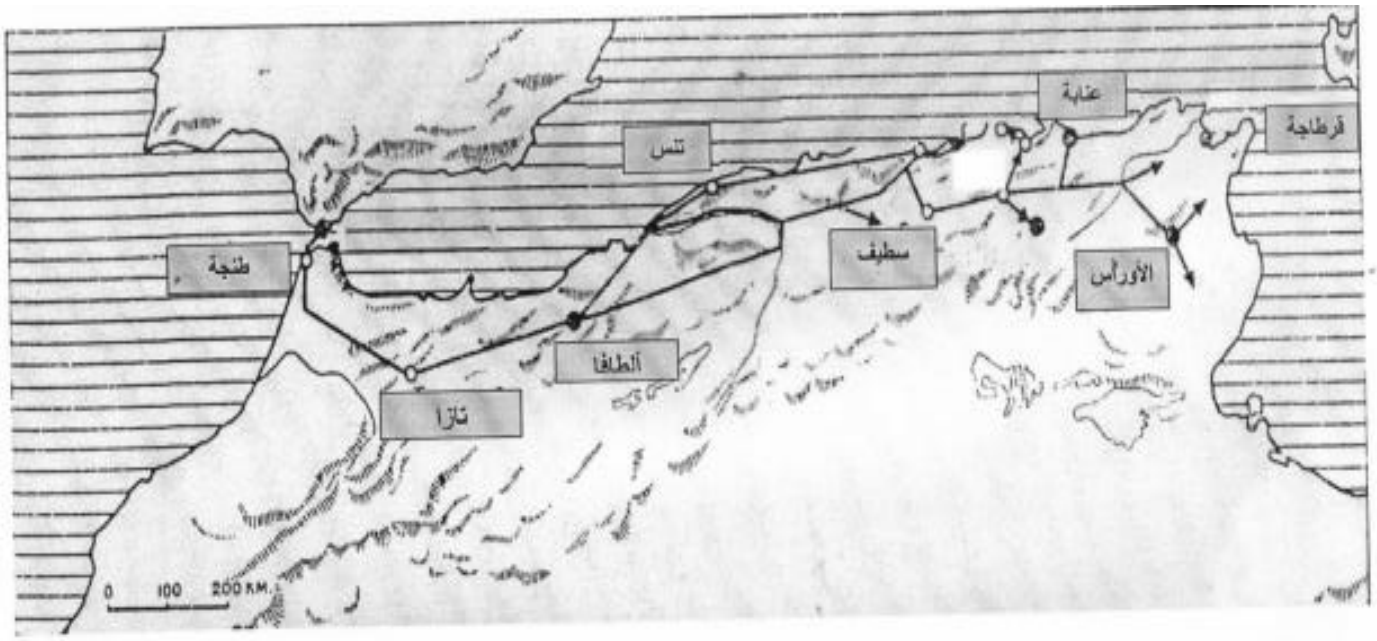

الخريطة رقم : 05 مسار الغزو الوندالي في شمال افريقيا

المصدر : Courtois (Ch.), Op. Cit., P. 161.

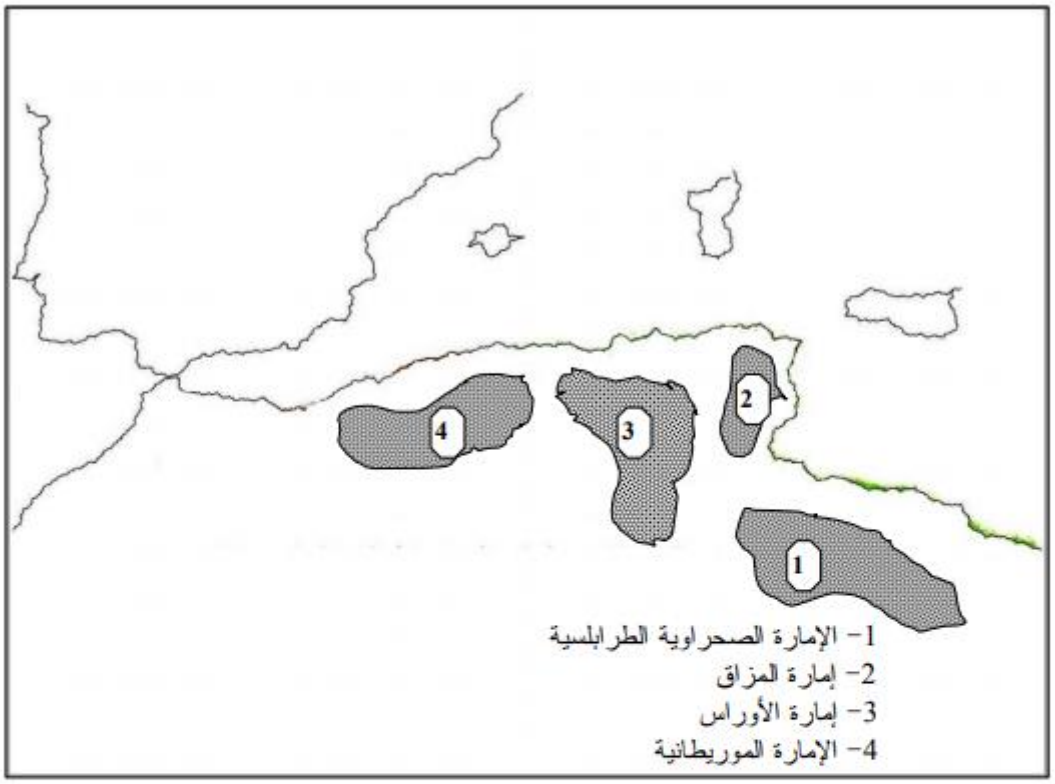

الخريطة رقم 07 : الكيانات السياسية المورية أثناء الفترة الوندالية

المصدر : يوسف عيبش، الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية في بلاد المغرب أثناء الإحتلال البيزنطي، أطروحة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ والآثار، سنة (2007، 2008)، ص. 553.